
أجاثا كريستي
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

A RAPPORTER

أجاثا كريستي

التضحية الكبرى

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
ص. ب. ٨٧٣٧

- ١ -

قابلت صوفيا ليونيدس لاول مرة في مصر ، قبيل الحرب العالمية ••
كانت تشغل منصبا هاما في احدى المكاتب التابعة لوزارة الخارجية البريطانية ، وكانت صلتي بها في البداية مجرد صلة عمل، ولكنني ما لبثت بعد فترة قصيرة ان تبينت ما لهـا من مواهب وصفـات مميزة أهلتهـا للاضطلاع بمسؤوليات ذلك المنصب الهـام رغم انها لم تتجـاوز الثانية والعشرين من عمرها •

كانت على قدر كبير من الجمـال والذكاء ، وكان يطيب لي حديثها ، توثقت بيننا اواصر الصداقة وصرنا نخرج معا لتناول العشاء •• وللرقص في بعض الاحيان •

واستمرت هذه الصداقة الى ان وضعت الحرب أوزارها ، وصدر الامر بنقلي الى منصب في الشرق الاقصى ، وحينئذ اكتشفت انني احبها ، انني أتمنى ان اتخذها زوجة لي ••

اكتشفت ذلك ونحن نتناول طعـام العشاء معا في فندق (شبرد) ،

ولم يدهشني هذا الاكتشاف ، فقد كان بمثابة اعتراف بحقيقة أعرفها منذ وقت طويل .

ونظرت الى صوفيا بعين جديدة ، ولكني لم أر فيها غير ما ألفت رؤيته والاعجاب به ... الشعر الاسود الغزير يتوج رأسها ، والعينين الزرقاوين الصافيتين ، والانف الصغير ، والذقن البارزة التي تدل على قوة الارادة .

وكنت قد لاحظت بعد كل الاحاديث الصريحة التي دارت بيننا عن آرائنا واصدقائنا ان صوفيا لم تذكر كلمة واحدة عن أسرتها ..

كانت تعرف كل شيء عني .. وانا لا اعرف عنها شيئا ... ولكني لم أفطن الى هذه الحقيقة قبل تلك الليلة ... وسألتني صوفيا فيمَ أفكر فأجبتها :

ــ فيك .

ــ أحقا ..؟

ــ انني لا اعرف متى سأعود الى انجلترا ، ومن المحتمل جدا ان يمر عامان قبل ان نلتقي مرة اخرى ... وقد كنت الآن افكر في ان اول ما سوف افعله عقب عودتي ... هو ان اذهب اليك لاطلب يدك .

فاستقبلت النبأ في هدوء ، ولم يخفق لها هدب ، واستمرت تدخن دون ان تنظر الي حتى خيل الي انها ربما لم تفهم ما اعني .

قلت لها :

ــ انني مصمم على الا اطلب يدك الآن ... لان ذلك ... يكون ضربا من الغباء اولا لانك ربما ترفضين فاذهب حزينا كسير القلب .. وقد يدفعني اليأس الى ان اربط مصيري بمصير مخلوقة تافهة ... وثانيا لانك اذا وافقت فانني لا اعلم ماذا نستطيع ان نفعل بعد ذلك ... هل نتزوج فورا ونفترق غدا ؟.. ام نعقد خطوبتنا وننتظر الى ما شاء الله ؟..

انني لا اريدك اذا ما قابلت رجلا آخر ان تشعري بانك مرتبطـــة بي ••• نحن نعيش الآن فترة محمومة، يتزوج فيها الناس بسرعة، ويطلقون بسرعة وانا اريد لك ان تعودي الى ذويك حرة مستقلة ، لكي تنظري حولك في دنيا ما بعد الحرب ، وتقــرري ماذا تريدينه منهـــا ••• واذا قدّر لنا ان نتزوج ••• فانني اريد لزواجنا ان يدوم •••

ــ لقد فهمت وجهة نظرك يا تشارلس ••• وفي استطاعتك ان تأتي لزيارتــي عندما تعود الى انجلتـــرا ••• ذلك اذا لم تكن قد عدلت عن رأيـــك •

ــ هذا ما لن يحدث •

ــ لا تجزم بأمر يا تشارلس •• ان اتفه شيء قد يبدد اعز الاحلام ويطيح بأجمل الامنيات •• ثم انك لا تعرف شيئا عني •• اليس كذلك ؟؟

ــ الواقع انني لا اعرف حتى عنوانك في انجلترا •

ــ انني أقيم في (سونيلي دين) ••

وكنت اعلم ان سونيلي هي أبعد ضواحي لندن ، وبها ثلاث ساحات كبيرة للعب الجولف ، يختلف اليها رجال المال والاعمال لممارسة هوايتهم المفضلة •

واستطردت صوفيا وهي مستغرقة في التفكير •

ــ •• في بيت صغير مشوه ••

ولاحظت دهشتي فقالت تردد اغنية معروفة من اغنيات الاطفال •

ــ « •• وكان ثلاثتهم يعيشون في بيت صغير مشوه •• »

هذا البيت الصغير كله ابراج •• ونحن جميعا نقيم فيه ••

ــ هل لك أسرة كبيرة ؟••

ــ كبيرة !!•• انها تتألف من اخ واخت واب وام وعم وزوجة عم، وجد •• وزوجته ، وشقيقة للجدة •

فصحت مبهوتا :

ــ يا الهي !!••

فضحكت وقالت :

ــ والجميع يعيشون في كنف الجد •• وهو رجل في الثمانين من عمره لا يزيد طوله على مائة وخمسين سنتيمترا •• ولكنه رجل يتضاءل امامه كل الرجال •

ــ لا بد ان له شخصية قوية ••

ــ نعم •• انه يوناني من ازمير ويدعى ارستيد ليونيدس •

ثم غمزت بعينها واستطردت قائلة :

ــ وهو واسع الثراء ••

ــ وهل سيكون في الدنيا اثرياء بعد هذه الحرب ؟•

ــ انّ جدي ثري وسيظل ثريا مهما وضعوا من قيود على رؤوس الاموال •• انه يعرف كيف يقلّم اظافر من يحاول ان يقلّم اظافره •

وصمتت قليلا ثم أردفت قائلة :

ــ انني اتساءل •• ترى هل ستحبه !!••

ــ وهل تحبينه انت ؟!••

ــ اكثر من اي انسان آخر في الدنيا •

- ٢ -

ومر عامان قبل ان اعود الى انجلترا ...

عامان طويلان كنت خلالهما اكتب الى صوفيا وكانت تكتب الي ..

كنا نتراسل لا كعاشقين يتطارحان الحب . وانما كصديقين عزيزين يجدان متعة في تبادل الآراء وتسجيل انطباعاتهما مما يعرض لهما في حياتهما اليومية .. ولكني رغم ذلك كنت أعلم ان مشاعري نحوها لم تتغير ، وكان لدي من الاسباب ما يحملني على الاعتقاد بأن مشاعرها هي ايضا لم تتغير .

وقد وصلت الى انجلترا في يوم غائم من ايام شهر سبتمبر ، وكان النسيم عليلا، وأشعة الشمس الغاربة تصبغ أوراق الشجر بلون الذهب.. فأرسلت من المطار البرقية التالية الى صوفيا :

« وصلت الآن ، هل تتناولين معي طعام العشاء في التاسعة مساء بمطعم ماريو ؟.. » .

تشارلس

وبعد ساعتين ، كنت أتصفح جريدة « التايمز » فوقع بصري في صفحة الوفيات على النعي التالي :

«تنعي ريندا ليونيدس ببالغ الحزن والاسى زوجها ارستيدليونيدس الذي توفي في (سونيلي دين) يوم ١٩ سبتمبر عن خمسة وثمانين عاما » •

وتحت هذا النبأ مباشرة ، قرأت الاعلان التالي :

« ينعي اولاد ارستيد ليونيدس المأسوف عليه عميد الاسرة ، الذي توفي فجأة بقصره (القباب الثلاث) بضاحية سونيلي دين ، والعزاء بكنيسة (سانت أيلدريد) بالضاحية المذكورة » •

وأدهشني هذا « الازدواج » في نشر النعي ، ورددته الى خطأ مطبعي من جانب الجريدة •• وأرسلت الى صوفيا على الفور هذه البرقية :

« علمت في التو واللحظة بنبأ وفاة جدك ، تقبلي عزائي •• متى سأستطيع مقابلتك ؟•• » •

تشارلس

وأجابت صوفيا ببرقية وصلتني في السادسة مساء بعنواني عند أبي، وقد جاء بها :

« سأكون بمطعم ماريو في الساعة التاسعة » •

صوفيا

★ ★ ★

كان مجرد التفكير في انني سأراها كافيا لان يشد اعصابي ، فلم استقر على حال الى ان دنا موعد اللقاء فذهبت الى مطعم ماريو في الساعة الثامنة واربعين دقيقة وتأخرت صوفيا عن الموعد نحو عشرين دقيقة اخرى، وكان ظهورها مفاجأة لي تختلف عما توقعته ، فقد كانت ترتدي ثوبا أسود ، وعلى الرغم من ان ذلك كان امرا طبيعيا ، الا انه فاجأني اذ لم

اتصور قط ان صوفيا ترتدي ثوب الحداد حتى من أجل أعز الناس عليها.

تناولنا بعض اقداح الكوكتيل ، وتناقلنا انباء اصدقائنا في القاهرة وتحدثنا طويلا في أمور كثيرة لا أهمية لها ، ولكن الحديث أزال ما كنا نشعر به من حرج ، ولما عبّرت لها عن أسفي لموت جدها قالت ان موته لم يكن متوقعا ، ثم عادت الى الحديث عن القاهرة وبدأت أشعر بالقلق فقد خيّل الي ان احاديثنا تفتقر الى الصراحة والاخلاص وخطر لي ان صوفيا ربما عرفت رجلا آخر ظفر بقلبها من دوني .. او لعلها اكتشفت انها أساءت فهم حقيقة مشاعرها نحوي . وقد ظللت نهبة الشك والقلق الى ان حمل الينا الخادم اقداح القهوة فحينئذ ذاب الجليد دون اية محاولة من جانبي وجدتني أجلس بجوار صوفيا امام مائدة صغيرة في احد المطاعم كسابق العهد بنا .. كما لو كنا لم نفترق طوال العامين الآخرين ؛ فهتفت باسمها في همس :

— صوفيا !..

— تشارلس !!..

قالت ذلك بالصوت العذب الذي رجوت ان اسمعه ، فتنهدت بارتياح وهتفت قائلا :

— أخيرا !!..

وابتسمنا ...

فسألتها :

— متى سنتزوج ؟..

فتلاشت الابتسامة عن شفتيها وأجابت :

— لا أعلم يا تشارلس .. بل لست على يقين من انني سأقترن بك يوما ما .

— لماذا يا صوفيا ؟.. هل ترين انني تغيرت وانك بحاجة الى بعض

الوقت لكي تألفيني ؟•• هل تحبين شخصا آخر ؟••

فهزت رأسها ببطء وأجابت :

ـ كلا •

وانتظرت مزيدا من الايضاح فقالت على الفور :

ـ بسبب موت جدي •

ـ ماذا تعنين ؟•• ان موته لا يغير شيئا •• واذا كنت تفكرين في موضوع المال فان •• فقاطعتني :

ـ كلا •• لست أعني ذلك •

واستطردت بعد قليل وعلى شفتيها ابتسامة يائسة :

ـ انا اعلم جيدا انك ستقترن بي حتى ولو لم اكن املك درهما واحدا •• ومع ذلك فان جدي لم يفقد أمواله وقد ترك ثروة كبيرة •

ـ اذن ؟!••

ـ المسألة هي انه لم يمت كما يموت سائر الناس •• وانا اعتقد انه قتل •

ـ وماذا يحملك على هذا الاعتقاد ؟••

ـ انا لست الوحيدة التي تعتقد ذلك • لقد رفض الطبيب توقيع شهادة الوفاة •• وسيجري تشريح الجثة •• وهذا دليل على ان هناك بعض الشك ••

ولم يكن في نيتي مناقشتها فانها من الذكاء بحيث تعرف ما تقول •• قلت لها :

ـ هذا الشك ربما لا يقوم على اساس •• وحتى لو كان على اساس فما علاقته بنا ؟••

ـ هل انتِ واثق مما تقول •• هل نسيت انك تعمل في السلك الدبلوماسي •• وان اختيار الزوجة عامل اساسي له تأثيره على مستقبل

الرجل الدبلوماسي ؟.. انا اعرف الاجابة التي تتحير على شفتيك وتريد ان تنطق بها .. ولكني ارجوك الا تفعل .. انها اجابة يمليها واجب الادب والمجاملة .. وربما كانت بالنسبة اليك تعبر بصدق عن حقيقة شعورك وتفكيرك ... وانا أقرك عليها من حيث المبدأ . ولكني امرأة تعتز بكبريائها .. ولا تريد لزواجها ان يتعرض للقيل والقال ... او ان يتطلب منك تضحية او شبه تضحية ... وعلى كل حال فانه من المحتمل جدا ان ينتهي الامر بسلام ...

ـ هل تعنين ان الطبيب ربما كان مخطئا ؟..

ـ على فرض انه لم يخطيء وكان هناك قاتل من الخارج فان الامر سوف ينتهي بسلام .

ولم أفهم ما تعني فمضت تقول :

ـ كان رهيبا ما ذكرته الآن .. أليس كذلك ..؟ ولكني أرى ان الصراحة أجدى وأفضل .

وأدركت السؤال الذي يتحير على شفتي ، وأجابت عليه قبل أن أنطق به ، قالت :

ـ كلا يا تشارلس ، لا استطيع ان ازيدك ايضاحا ، بل ربما اكون قد قلت لك فعلا اكثر مما ينبغي .. انني ما جئت الآن الا لكي اقول لك اننا لن نستطيع ان نقطع برأي في أمر زواجنا قبل أن يماط اللثام عن سر مصرع جدي .

ـ الا تزيدينني ايضاحا يا صوفيا ؟..

ـ كلا يا تشارلس .. فلست أريدك ان ترى الامور من وجهة نظري .. يجب ان تنظر الينا بلا تحيز .. كأي انسان غريب لا صلة له بنا من قريب او بعيد .

ـ وكيف استطيع ذلك ؟..

فتألقت عيناها الزرقاوان وقالت :

ـ ستعرف من ابيك •••

وكنت ونحن في القاهرة ، قد ذكرت لصوفيا ان أبي يعمل نائبا لمدير (اسكتلنديارد) •• وكان لا يزال يشغل هذا المنصب ••

وأزعجتني عبارتها الاخيرة ، وسألتها :

ـ هل الامر بهذا السوء ؟••

ـ اظن ذلك •• هل ترى الرجل الذي يجلس وحيدا امام المائـدة بالقرب من الباب ؟•• يبدو انه احد رجال الشرطة ••

ـ يخيل الي ذلك ••

ـ انه كان على رصيف محطة (سونيلي دين) عندما ركبت القطار الى لندن •••

ـ هل تعقبك ؟••

ـ نعم •• واكبر الظن اننا جميعا تحت المراقبة • لقد المحوا لنا بأن من الافضل ألا نغادر البيت ولكنني جازفت لكي أراك •••

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة :

ـ لقد خرجت من نافذة الحمام وهبطت على أنابيب الماء ••

ـ يا الهي ؟؟••

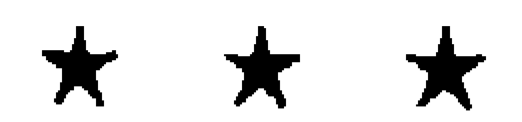
ـ ولكن البوليس كان ساهرا •• ولا شك انهم قرأوا البرقية التي بعثت بها الي •• مهما يكن الامر فها نحن هنا معا •• وذلك هو المهم •• ولكن من سوء الحظ انه يجب من الآن ان يلعب كل منا دوره على انفراد، انت من جانبك وانا من جانبي •• واقول من سوء الحظ لاننا ما زلنـا متحابين ••

ـ اصغي الي يا صوفيا ، اننـا ، انت وانا ـ قد عشنا معا حربـا عالمية ، ورأينا معا الموت عن قرب ، فلا معنى الآن لان يؤدي موت رجل عجوز •• بهذه المناسبة •• كم كان عمره ؟••

ـ خمسة وثمانون عاما ..

ـ تماما .. كما ذكرت صحيفة التايمز .. لقد بلغ من السن عتيا.. ومـات بسبب الشيخوخة .. ذلك ما يجب ان يقـرره اي طبيب يعرف واجباته .

ـ لو انك عرفت جدي .. لادهشك ان يموت لاي سبب كان .



- ٣ -

كنت دائما اهتـم بالتحقيقـات البوليسية التي يشرف عليها أبي ، ولكني لم اتوقع ان يثير احد هذه التحقيقات اهتمامي لاسباب شخصية.

ولم اكن قد رأيت ابي منذ عودتـي ، فانه لم يكن بالبيت عندمـا وصلت اليه واغتسلت واستبدلت ثيابي وانطلقت للقاء صوفيا ..

ولما عدت من هذا اللقاء أنبأني جلوفر — كبير الخدم — بأن أبي في مكتبه .. فذهبت اليه ، ووجدته منهمكا في قراءة أوراق أمامه ، ولم يكد يراني حتى انبعث واقفا وهتف مرحّبا .

— تشارلس !!.. هأنتذا اخيرا !!..

كان ذلك اول لقاء بيننا منذ خمس سنوات .. وعلى الرغم من ان ترحيبه بعودتي لم يتجـاوز هذه الكلمات الثلاث ، الا ان تأثره لم يكن أقل من تأثري .

كان كل منا يحب الآخر ويفهمه تماما .

قال وهو يسكب الشراب في كأس :

ـ لدي هنا بعض الويسكي •• فاشرب منه كفايتك •• يؤسفني انني لم اكن بالبيت لكي استقبلك عند عودتك •• ولكني مثقل بالعمل •• ولم اكن بحاجة الى القضية المزعجة الجديدة التي منيت بها اليوم ••

فسألته :

ـ هل تعني قضية ارستيد ليونيدس ؟••

فتفرس في وجهي لحظة ، ثم قطب جبينه وسأل :

ـ ماذا حملك على ان تقول ذلك يا تشارلس ؟••

ـ ألست على صواب ؟••

ـ كيف علمت ؟••

فظل يحملق في وجهي انتظارا لمزيد من الايضاح فقلت :

ـ من مصدر موثوق به •

ـ ما هذا المصدر ؟

ـ قد لا يسرك ان تعرفه •• ولكن لا مناص من ان أفضي اليك بالحقيقة •• انني تعرفت على صوفيا ليونيدس في القاهرة واحببتها واعتزم الاقتران بها • وقد قابلتها الليلة وتناولنا طعام العشاء معا •

ـ هنا ؟ في لندن ؟•• كيف فعلت ذلك ؟•• لقد طلبنا الى افراد الاسرة ـ بأدب طبعا ـ ألا يبرحوا البيت •

ـ أعلم ذلك • ولكنها خرجت من نافذة الحمام وهبطت على أنابيب الماء •

فارتسمت على شفتيه ابتسامة وقال :

ـ يخيل الي انها فتاة ذكية •

ـ هو ذلك •• ولكن البوليس لم يغفل عنها ، فقد تبعها احد رجالك الى المطعم •• ومن المحقق انه سيذكرني في تقريره اليك •• وسيقول ان صوفيا ليونيدس هربت من البيت وقابلت شابا اسود الشعر

والعينين طوله ١٧٥ سنتيمترا •• يرتدي ثوبا رماديا •• الخ ••
فرمقني ابي بنظرة فاحصة وقال :
ــ حدثني يا تشارلس •• هل انت جاد في مشروع الزواج هذا ؟••
ــ نعم •• يا ابي ••
فأطرق برأسه مفكرا ولزم الصمت ••
سألته :
ــ هل يضايقك ذلك ؟••
ــ انه ما كان يضايقني لو انني علمت به منذ اسبوع •• فالاسرة كريمة •• والفتاة سترث ثروة طائلة •• اما في الظروف الحالية ••
ــ ماذا ؟••
ــ من المحتمل ان تجري الامور على ما تهوى لو ••
ــ لو ؟••
ــ لو ثبت ان القاتل من غير الاسرة ••
واثارت هذه العبارة فضولي •• فلقد سمعتها مرتين في تلك الليلة •
سألته :
ــ ماذا تعني ؟••
فرمقني مرة اخرى بتلك النظرة الفاحصة وقال :
ــ ماذا تعرف بالضبط عن القضية ؟••
ــ لا شيء •
ــ لا شيء ؟•• ألم تحدثك الفتاة عنها ؟••
ــ كلا •• قالت انها تفضل ان انظر اليها بلا تحيز •• كأي غريب لا صلة له بالاسرة ••
ــ ليتني اعلم لماذا ••
ــ أليس السبب واضحا ؟••

فلم يجب ، ونهض عن مكتبه ، وراح يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا وهو مطرق برأسه ، ثم سألني فجأة :

ـ ماذا تعلم عن هذه الاسرة يا تشارلس ؟..

ـ اعلم انها تتألف من الجد ومجموعة من الاولاد والاحفاد والاقارب والانسباء .. ولكنني لا اعرف تماما صلة كل منهم بالآخر .. حبذا لو زدتني معرفة بهم .

فعاد الى مقعده امام المكتب وقال :

ـ حسنا .. سأبدأ من البداية .. لقد جاء ارستيد ليونيدس الى انجلترا وهو في الرابعة والعشرين من عمره ..

ـ كان يونانيا من أزمير ..

ـ آه .. أتعلم ذلك ؟..

ـ نعم ، هذا تقريبا هو كل ما اعلمه عنه .

وفي هذه اللحظة ، فتح باب الغرفة ، وأطل منه جلوفر ليعلن قدوم المفتش تافرنر . فقال ابي :

ـ انه المفتش المنوط بتحقيق القضية . سأسمح له بالدخول .. لقد تحرى عن الاسرة وأصبح يعرف عنها اكثر مما اعرف .

فسألته عما اذا كان البوليس المحلي في ضاحية (سوينلي دين) هو الذي طلب معونة اسكتلنديارد .

فأجاب :

ـ كلا .. ان (سوينلي دين) تقع في نطاق عملنا ، لانها من ضواحي لندن .

وكنت اعرف المفتش تافرنر منذ سنوات عديدة ، فشد على يدي بحرارة ، وهنأني بالخروج سالما من الحرب .. فقال له ابي :

ـ كنت احدث تشارلس عن ارستيد ليونيدس . فأرجو ان تصحح معلوماتي اذا أخطأت ...

ثم التفت الي وقال :

ـ جاء ليونيدس الى لندن سنة ١٨٨٤ ، وافتتح مطعما صغيرا في حي (سوهو) وحالفه التوفيق فأدخر بعض المال ، وافتتح مطعما آخر ، ثم مطعما ثالثا .. وهكذا حتى اصبح يمتلك سبعة او ثمانية مطاعم تعمل كلها بنجاح .

فقال تافرنر :

ـ ومن العجب انه لم يقع طوال هذا الوقت في اي خطأ .

واستطرد ابي قائلا :

ـ كان رجل اعمال بالغريزة ، وما لبث ان حول اهتمامه الى مطاعم لندن غير المعروفة .. فراح يبتاعها ويعيد تنظيمها .. ثم بدأ بتجارة المواد الغذائية على نطاق واسع .

فقال تافرنر :

ـ كان اهتمامه موزعا في مجالات كثيرة .. كتجارة الملابس المستعملة ، والمجوهرات المقلدة ...

فسألته :

ـ هل كان محتالا ؟..

فهز المفتش رأسه وأجاب :

ـ كلا .. كان فطنا ذكيا يعرف كيف ينفذ من ثغرات القانون ولكنه لم يرتكب قط ما يوقعه تحت طائلة العقاب .

كان اذا بدأ عملا ، استغل قصور القوانين التي تحكمه ، فاذ تدارك المشرعون هذا القصور ، ترك هذا العمل الى عمل آخر .. وهكذا .. واستطاع بذلك ان يجني ارباحا طائلة خلال سني الحرب .

فقلت :

ـ يخيل الي انه كان شخصية مقيتة .

فأجاب ابي :

ــ بل كان على العكس من ذلك •• صحيح انه كان من حيث المظهر قزما دميما •• ولكنه يتمتع بشخصية جذابة حببته الى النساء •• وقد وفق في زواجه اذ اقترن بابنة رجل محترم من تجار الفراء •

ــ زواج مصلحة طبعا •

ــ بل زواج حب ، انها قابلته ذات ليلة بينما كانت تشرف على اعداد مأدبة لمناسبة خطوبة احدى صديقاتها فأحبته وصممت على الاقتران به رغم معارضة ذويها •• ذلك لانه كان لبقا ظريفا •• بينما كانت هي تعاني من السأم والملل في بيت اسرتها •

ــ وهل كان الزواج سعيدا ؟••

ــ الى أبعد حدود السعادة •• رغم ان اصدقاءهما قاطعوهما •• اذ لم يكن المال قد أزال الفوارق بين الطبقات بعد ، ولكنهما لم يعبأا بقطيعة الاصدقاء •• وشيدا بيتهما في (سوينلي دين) ، وعاشا سعيدين•• ورزقا بأولاد كثيرين •

ــ كما في الاساطير !!••

ــ لقد كان ليونيدس موفقا غاية التوفيق حين وقع اختياره على (سوينلي دين) ولم يكن في هذه الضاحية ، سوى ساحة واحدة للجولف، ولكنها اخذت تزدهر ، وتتخذ طابع الضواحي الراقية •• وكان أهلها يتألفون من السكان الاصليين الذين يقيمون فيها منذ وقت طويل ، ويعنون أشد العناية بحدائقهم •• ومن رجال المال والاعمال الذين يتوقون الى التعامل مع ليونيدس ، وهكذا أتيحت لليونيدس وزوجته فرصة لاختيار من يروقهم من الاصدقاء •• وعاشا في سعادة تامة الى ان اصيبت الزوجة بالتهاب رئوي وتوفيت في سنة ١٩٠٥ •

ــ وتركت لزوجها ثمانية اولاد •• أليس كذلك ؟••

ــ لقد مات احد هؤلاء الاولاد وهو طفل وقتل اثنان في الحرب العالمية الاولى ؛ وتزوجت احدى الفتيات وهاجرت الى استراليا حيث توفيت •• وقتلت فتاة اخرى في حادث سيارة ، وماتت فتاة ثالثة منذ عام او عامين •• ولم يبق على قيد الحياة سوى الابن الاكبر ويدعى روجر وهو متزوج ولم يرزق بأولاد وابن آخر يدعى (فيليب) وهو متزوج من ممثلة معروفة وله منها ابنتان ، احداهما صوفيا التي حدثتني عنها ، والثانية تدعى جوزفين •• وولد يدعى اوستاش •

ــ وهل يقيمون جميعا في بيت (القباب الثلاث) ؟••

ــ نعم •• كان روجر يقيم في لندن •• ولكن قنبلة سقطت على بيته في بداية الحرب فهدمته •• فانتقل الى بيت (القباب الثلاث) •

وفي هذا البيت تقيم ايضا الانسة اديث دي هافيلاند ، شقيقة الزوجة الاولى لارستيد ليونيدس •• وكانت اديث تكره ارستيد وتحتقره فلما ماتت اختها ، رأت من واجبها ان تقبل دعوة ارستيد حين دعاها للاقامة عنده والاشراف على تربية الاولاد •

فقال المفتش تافرنر :

ــ كانت تحترم واجباتها ولكنها لم تكن من اولئك الذين يغيرون آراءهم في الناس ، فظلت تحتقر ليونيدس وتدين وسائله وأساليبه •

فقلت :

ــ صفوة القول ان البيت حافل بالناس •• فمن تظنه القاتل ؟••

فهز المفتش كتفه واجاب :

ــ انني لم اقطع برأي بعد •• ذلك سابق لاوانه ••

ــ اراهن على انك تعرف القاتل •• أذكره لنا بصفة خاصة ايها الصديق •• نحن لسنا في المحكمة •

ــ نعم •• نحن لسنا في المحكمة ومن المحتمل ألا نذهب اليها أبدا ••

ـ هل معنى ذلك ان العجوز لم يقتل ؟..

ـ بل انه قتل .. ولكن جرائم القتل بالسم تتشابه كلها في تعذر اقامة الدليل .. وان تكن القرائن كلها تشير الى شخص بعينه ..

فصحت :

ـ هوذا اعتراف صريح بأنك تعرف القاتل ..

ـ قلت ان هناك قرائن قوية .. ولكن لا يوجد دليل .. وانا لست على يقين .

فنظرت الى ابي ملتمسا معونته فقال ببطء :

ـ جرت العادة في جرائم القتل ان يكون اوضح الحلول هو في الغالب اصوبها .. ولعلك لا تعلم يا تشارلس ان ليونيدس اتخذ لنفسه زوجة اخرى منذ عشرة اعوام ..

ـ وهو في الخامسة والسبعين من عمره ؟..

ـ نعم .. وكانت الزوجة الجديدة في الرابعة والعشرين من عمرها.

فلم أتمالك من ان اصفّر بشفتي دهشة وقلت :

ـ واي نوع من النساء هي ؟..

ـ فتاة صغيرة محترمة وجميلة كانت تعمل مضيفة في احد مشارب الشاي .

ـ هل هي التي تحوم حولها اقوى الشبهات ؟..

فأجاب تافرنر :

ـ طبعا .. انها في الرابعة والثلاثين .. أخطر فترة في حياة المرأة .. وهي مولعة بالترف .. وفي البيت شاب في مقتبل العمر يعمل مدرسا للاولاد .. ولم يشترك في الحرب بدعوى انه مريض بالقلب .. او ما يشبه ذلك ..

ـ وما نوع السم الذي استخدم في الجريمة ؟..

هل هو الزرنيخ ؟

ــ كلا •• اننا لم نتلق بعد تقرير معمــل تحاليل المواد السامة •• ولكن الطبيب يعتقد ان السم الذي استخدم في الجريمة هو (الايزيرين)•

ــ انه سم غير مألــوف •• واعتقــد انه ليس من الصعب معرفــة الشخص الذي اشتراه ••

ــ هذه ليست المشكلة •• فصاحب الايزيرين هو ليونيدس نفسه •• وكان يستخدمه كقطرة لعينيه •

فقال ابي :

ــ كان ليونيدس مريضــا بالسكر •• وكان يحقــن بالانسولين بانتظام •• والانسولين يباع عادة في قنينة صغيرة لها سدادة من المطاط ، والطريقة المتبعة هي ان تملأ الحقنة بمادة الانسولين من خلال السدادة •• ثم يحقن المريض ••

ــ فهمت •• كانت القنينة التي استخدمت في يوم الحادث مليئــة بالايزيرين بدلا من الانسولين •• أليس كذلك ؟••

ــ تماما ••

ــ ومن الذي حقن ليونيدس ؟••

ــ زوجته الشابة ••

وهنا فقط فهمت ماذا كانت صوفيا تعني حين قالت ان الامر سوف ينتهي بسلام اذا كان القاتل من خارج الاسرة •

سألت :

ــ وهل الاسرة على وفاق مع زوجة ليونيدس ؟••

ــ كلا •• انهم لا يتبادلون الحديث الا نادرا •

كان كل شيء يبدو واضحا ، فالقرائن كلها تأخذ بتلابيب الزوجــة الشابــة •• ورغم ذلك كانت تبــدو على المفتش تافرنر دلائــل الشك و التردد • فسألته ••

ـ يخيل الي ان هناك ما يقلقك .
فأجاب :
ـ نعم .. فثمة شيء يتعذر علي فهمه .. اذا كانت الزوجة هي الجانية حقا .. فلماذا لم تبادر الى استبدال قنينة الايزيرين بأخرى تحتوي على انسولين ؟.. كان من السهل عليها ان تفعل ذلك .

ـ هل يوجد انسولين بالبيت ؟..
ـ يوجد كثير من القناني المليئة والفارغة .. ولو قد فعلت لما لاحظ احد شيئا .. ذلك لان الايزيرين لا تظهر له اعراض او آثار على جثة الميت ، وكل ما حدث في هذه القضية ان الطبيب فحص محتويات القنينة التي حقن منها ليونيدس لكي يتحقق مما اذا كان الانسولين مركزا اكثر مما ينبغي .. فاكتشف ان المادة التي بالقنينة ليست انسولين .

فقلت :
ـ يخيل الي ان الزوجة الشابة اما ذكية جدا .. او غبية جدا ..
ـ هل تعني ...
ـ اعني انها ربما اعتمدت على انكم لن تعتقدوا ان القاتل يمكن ان يكون على هذه الدرجة من الغباء بحيث لا يبادر الى استبدال القنينة التي تحتوي السم بأخرى تحتوي على الانسولين .. هل هناك احتمالات اخرى يا مستر تافرنر ؟ أعني هل تحوم الشبهات حول شخص آخر ؟..

فتصدى ابي للاجابة على هذا السؤال . قال :
ـ من الناحية العملية .. جميع افراد الاسرة تحوم حولهم الشبهات .. فان البيت لم يخل قط من رصيد من الانسولين يكفي لاسبوعين .. ولم يكن أيسر من ملء احدى القناني بالايزيرين ووضعها مع قناني الانسولين .. والانتظار حتى تستخدم في احد الايام .
ـ وهل صيدلية البيت في متناول الجميع ؟..

ـ انهم لا يغلقون صندوق العقاقير •• وقناني الانسولين مرتبة به في صف واحد •• والصندوق نفسه موضوع في انحمام •
ـ والدافع الى الجريمة ؟••
فتنهد ابي وأجاب :
ـ يا عزيزي تشارلس •• ان ليونيدس كان واسع الثراء •• صحيح انه أعطى ذويه كثيرا من المال •• ولكن يحتمل ان يكون احدهم او بعضهم قد طمع في المزيد •
ـ ويحتمل ان يكون هذا الطامع هو آرملته •• ولكن صديقها •• هل هو غني ؟••

فأجاب تافرنر :
ـ انه أفقر من فأر الكنيسة ••
ولفت نظري هذا التشبيه ، وتذكرت فجأة أغنية الاطفال التي رددت صوفيا مقطوعة منها •

« كان هناك رجل مشوه ••
« يسير في طريق مشوه ••
« فوجدا بيتا مشوها ، على حافة قناة مشوهة ••
« وبالبيت كانت قطة شوهاء •• قد اصطادت فأرا مشوها ••
« فعاش ثلاثتهم معا •• في البيت المشوه •• » •

★ ★ ★

سألت تافرنر :
ـ ماذا كان انطباعاتك عن مسز ليونيدس الشابة ؟؟ ما رأيك فيها ؟•
ففكر تافرنر طويلا قبل ان يجيب :
ـ ليس من السهل معرفة امرأة من هذا الطراز •• انها هادئة جدا••

وديعة جدا •• ولكن المتعذر معرفة ما يدور بخلدها •• كل ما استطيع ان اقوله •• هو انها مولعة بالترف والحياة الرغدة •• وقد ذكّرني مرآهـا بقطة خاملة مدللة •• ولكن هذه الاوصاف لا تقدم ولا تؤخر •• ان ما نحتاج اليه هو الدليل ••

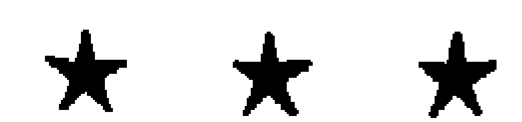
★ ★ ★

وكنت أرى هذا الرأي ••

ان ما نحتاج اليه ، هو الدليل على ان مسز ليونيدس الشابة سممت زوجها ••

كانت صوفيا تريد هذا الدليل •• وكذلك تافرنر •• وانا •• فاذا وضعنا أيدينا على هذا الدليل •• ظهرت الحقيقة واستقامت الامور •

والمشكلة هي ان صوفيا لم تكن واثقة من شيء •• وكذلك تافرنر•• وانـا ••



- ٤ -

في اليوم التالي ، ذهبت مع تافرنر الى البيت ذي القباب الثلاث •• كان موقفي عجيبا •• او على الاقل ، غير مألوف •

كنت في بداية الحرب أعمل في المخابرات بادارة مكافحة الجاسوسية، وكان في استطاعتـــي عند الضرورة ان ازعم انني شرطي • اما الآن فان الموقف يختلف تماما ••

كان ابي قد قال لي في الليلة السابقة :
ـ اذا اردنا ان ننجح في حسم هذه القضية • فيجب علينا ان نبدأ من الداخل •• وان نعرف كل شيء عن افراد الاسرة ، واذا كان هنـــاك انسان يستطيع موافاتنا بالمعلومات التي نريدها فهو انت •

فلم أتمالك من الشعور بالاستياء واجبت :
ـ معنى ذلك ان اعمـــل جاسوسا ؟•• انني احب صوفيا واعتقـــد انها تحبني •• فكيف استغل هذا الحب للتسلل بين افراد الاسرة والبحث عن اسرارهم !!••

فهز ابي كتفيه وقال بشيء من الضيق :

ـ لا تنظر الى الامور بطريقة اصحـاب الحوانيت الصغيرة . هل ترتاب في ان تكون صديقتك قد قتلت جدها ؟..

ـ انا واثق من انها لم تقتله .

ـ ذلك رأيي ايضا .. ولكن ثمـة شيء مؤكـد .. هو انك لن تقترن بهذه الفتاة طالما ان القضية لم تحل ، وطالما ان الشك يحوم حـول كل فرد من افراد الاسرة ..

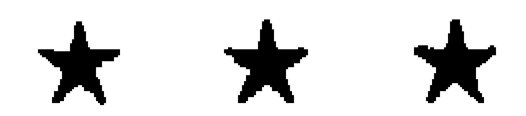
وهذه الجريمة من الجرائم التي قد لا تصل يد العدالة الى مرتكبها.. ومن المحتمل ان تتحول ريبتنا في الارملـة وصديقها الى يقين .. ولكننـا نجد أنفسنا رغم ذلك عاجزين عن عمـل شيء .. لاننا لا نملك الدليـل .

نحن حتى هذه اللحظة لا نستطيع ان نوجـه اليها اي اتهام . هل فهمتني ؟..

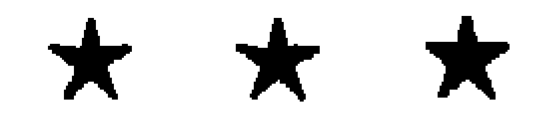
ـ نعم .. ولكن ...

غير انه لم يكلف نفسه عناء الاصغاء الي ومضى يقول :

ـ أليس من الافضل في هذه الحالة ان تعرض الموقف على صوفيا بوضوح وتستطلع رأيها ؟..



وهكذا ذهبت مع المفتش تافرنر والضابط لام لزيـارة البيت ذي القباب الثلاث . واخترقت بنا السيارة ساحـة الجولف المترامية امـام البيت .



كانت صوفيا قد وصفت البيت بأنه مشوه ، وقد وجدت عندما وقع بصري عليه ان ذلك اصدق وصف له ..

لم يكن بيتا ذا ثلاث قباب كما أسموه .. فقد احصيت احدى عشرة قبة .. يتألف منها منظر عجيب ..

وكان البيت أشبه بنبات شيطاني برزت أغصانه في كل اتجاه بلا نظام .

قال المفتش تافرنر وهو يتأمل البيت :

ـ بيت غريب .. اليس كذلك ؟.. ولكنه مؤثث كأفخم القصور العصرية ..

ولم يتسع لي الوقت للاجابة ، فقد رأيت صوفيا تخرج من الباب الرئيسي ، وما ان وقع بصرها علي حتى هتفت :

ـ أنت ؟..

فأجبت :

ـ نعم .. هل استطيع التحدث اليك ؟..

فترددت لحظة قبل ان تتخذ قرارا ، ثم أومأت الي ان اتبعها .

وسارت بي في الحديقة الى مقعد خشبي بين الاشجار وهناك جلست ، ودعتني الى الجلوس بجوارها ، وقالت وهي تنظر بعيدا :

ـ حسنا ؟؟..

ولم يكن في صوتها ما يشجع .. ولكني تحدثت اليها في صراحة واسهاب ، واصغت الي باهتمام ، حتى اذا فرغت من حديثي ، تنهدت وقالت :

ـ ان اباك رجل حكيم ..

ـ هذه فكرته .. وانا شخصيا لا اقره عليها ..

ـ انها فكرة وجيهة .. ولعلها الوسيلة الوحيدة للوصول الى نتيجة .

ان اباك يفهم وجهـة نظري اكثر مما تفهمهـا انت يا تشارلس انه ليهمني جدا ان اعرف الحقيقة ..

ـ من اجل مستقبلنا ؟.. انها لن تقدم او تؤخر بالنسبة الينا ..

ـ ليس من اجل مستقبلنا فقط يا تشارلس .. انني لم اجسر على مصارحتك بالحقيقة امس .. الحقيقة هي انني اشعر بالخوف .

ـ الخوف ؟..

ـ نعم .. الخوف .. ان القاتل .. على ما يعتقد البوليس ، ويعتقد ابوك . وتعتقد انت هو بريندا .. زوجة جدي ..

ـ جميع القرائن ..

ـ هذا صحيح .. ولكنني عندما اقول (ان بريندا هي القاتلة) .. اشعر بأنني لا اعبّر عما اعتقده .. وانما اعبّر عما اتمناه ..

ـ هل تظنين ان ...

ـ انا لا اظن شيئا . ولكنني اشعـر في قرارة نفسي بأن بريـنـدا ، ليست المرأة التي تجازف بارتكاب جريمة كهذه . انها اعقل وأبعد نظـرا من ان تفعل ذلك .

ـ على فرض انك على صواب .. فما قولك في لورانس براون .. الشاب الوثيق الصلة بها ..

ـ لورانس الشاب .. انه اخوف من ارنب ..

ـ من أدراك ؟

ـ الواقع .. ان احدا لا يستطيع ان يجزم بشيء .. فنحن كثيرا ما نخـدع بالظواهر . ولكنـي مع ذلك لا اعتقد ان بريـنـدا قد ارتكبت الجريمة .. انها خلقت لتعيش في حريم احد الاثرياء .. فهي تحب الترف والحياة الناعمـة .. تحب الجلوس طول الوقت على أريكة مريحـة .. وتحب أكل الحلوى وارتداء الثياب الجميلة والمجوهرات الثمينة ، وقراءة

القصص والاختلاف الى الملاهي ودور السينما •• هذه هي الحياة المثالية بالنسبة اليها •• واستطيع ان اضيف الى ذلك انها كانت تحب جدي رغم فارق السن بينهما •• ولا بد انه كان يشعرها بأنها المحظية المفضلة في حريم السلطان •• كان رجلا عجيبا ذا قدرة مذهلة على اجتذاب قلوب النساء ولا اظن ان الشيخوخة قد اضعفت مواهبه في هذا الصدد •

ــ قلت منذ لحظة انك تشعرين بالخوف •• لماذا ؟••

فأجابت بصوت خافت :

ــ لان هذه هي الحقيقة •• والامر الذي اريدك ان تعرفه هو اننا أسرة غريبة تتألف من افراد قساة القلوب •• ولكنها قسوة تختلف من حيث الشدة والنوع باختلاف الاشخاص •

ولا بد انها لاحظت من قسمات وجهي مبلغ دهشتي مما سمعت فاستطردت قائلة :

ــ سأوضح لك ما أعني •• اليك مثلا جدي •• لقد حدثنا ذات يوم كيف انه قتل بخنجره رجلين فيأزمير لمجرد الظن بأنهما تعمدا اهانته•• قال لنا ذلك ببساطة كما لو كان قتل رجلين مسألة تافهة لا تستحق الندم او التفكير •

كذلك كانت جدتي امرأة جامدة العاطفة •• نشأت بين صيادي الثعالب الذين لا يعرفون الرحمة فيما يتصل بالشرف ولا يتورعون عن قتل اقرب الناس اليهم برصاصة من بنادقهم لاتفه الاسباب •• فورثت صفاتهم وتطبعت بطباعهم ••

ــ الست تبالغين في رسم هذه الصورة القاتمة لذويك ؟••

ــ كلا •• ان الانسان يستطيع ان يكون شريفا ومجردا من الرحمة في ذات الوقت ، ولكن أمي تختلف عن الآخرين انها لطيفة ولكنها أنانية الى حد يثير فزعي في بعض الاحيان •

اما كليمنسي ، زوجة روجر ، فانها لا تعيش الا لابحاثها العلمية المعقدة ، وتتمتع ببرود غير طبيعي وغير انساني ؛ على عكس زوجها •• فانه رجل لطيف دمث الخلق ولكنه اذا غضب تحول الى شيطان مريد ••

واما أبي ••

وصمتت لحظة •• ثم قالت :

ـ واما ابي •• فانه يعرف كيف يتحكم في مشاعره بحيث لا يستطيع احد ان يتنبأ بما يدور بخلده او يعتمل في قرارة نفسه ولكنه يثير قلقي ومخاوفي في كثير من الاحيان •

ـ هل افهم من هذا ان كل فرد في أسرتك يستطيع ارتكاب جريمة قتل ؟••

ـ نعم •• وانا مثلهم •

ـ أنت ؟••

ـ ولم لا ؟•• انني اشعر احيانا بأنني استطيع ان اقتل انسانا ••

وصمتت قليلا ثم أردفت :

ـ اذا كان يستحق القتل •

فضحكت على الرغم مني ، وابتسمت صوفيا وقالت :

ـ ربما كنت حمقاء •• المهم اننا يجب ان نميط اللثام عن الحقيقة وان نعرف من الذي قتل جدي •

آه •• حبذا لو كانت بريندا هي القاتلة •

وفجأة •• اتجه تفكيري الى بريندا •• وشعرت نحوها بالعطف والاشفاق ••

— ٥ —

رأيت سيدة طويلة القامة تقبل نحونا بخطى سريعة فقالت صوفيا في همس :

ـ ها هي الخالة اديث ..

واقتربت الخالة فنهضت واقفا ، وقالت صوفيا تقدم كلا منا الى الآخر ...

ـ اقدم اليك تشارلس هيوارد يا خالتي .. هذه خالتي مس دي هافيلاند يا تشارلس .

كانت اديث دي هافيلاند تناهز السبعين .. قد وخط الشيب شعرها ، ولوحت الشمس بشرتها .

وسألتني وهي تحملق في وجهي بفضول :

ـ كيف حالك يا مستر هيوارد ؟.. لقد سمعتهم يتحدثون عنك ، ويبدو انك قادم من الشرق هل ابوك بخير ؟..

ـ نعم .. شكرا لك ..

ــ انني عرفته وهو طفل •• وكنت كذلك اعرف والدتك انكقريب الشبه منها •• هل جئت لمساعدتنا او لعكس ذلك ؟••

فأحسست بالحرج وأجبت :

ــ أرجو ان اكون ذا فائدة لكم ••

فأومأت برأسها علامة الرضى وقالت :

ــ هذا حسن •• ان البيت يعج برجال الشرطة •• انهم يبحثون في كل ركن •• ولبعضهم وجوه بغيضة ونظرات شريرة ••

ــ ان (ناني) تبحث عنك •• لتعدي السمك فصاحت صوفيا ••

ــ يا الهي ؟؟•• كدت أنسى •• سأذهب اليها فورا ••

وانطلقت مسرعة في الطريق الى البيت وسرنا في أثرها ببطء ••

قالت العجوز :

ــ لولا ناني لضعنا جميعا •• انها الاخلاص مجسدا •• وهي تضطلع بكافة الاعمال •• تغسل الثياب وتطهو الطعام وتدير شؤون البيت •• انها خادمة لا مثيل لها في هذه الايام •• وانا التي اخترتها •• منذ اعوام كثيرة ••

وانحنت بسرعة لتلتقط حشرة علقت بذيل ثوبها • ثم اعتدلت وقالت :

ــ اود ان اصارحك يا تشارلس هيوارد بأن هذا الحادث قد ضايقني كثيرا •• انني لا اطالبك بأن تذكر لي وجهة نظر البوليس •• لانه لا يحق لك ان تذكرها •• ولكني من ناحيتي لا اتمالك من الشعور بالالم كلما فكرت في ان ارستيد قد مات مسموما •• بل وأتألم لمجرد التفكير في انه مات •• انا لم اكن احبه •• ولكني لا استطيع ان اتصور انه مات •• لقد اصبح البيت بدونه خاويا ••

ولاحظت ان اديث دي هافيلاند تريـد ان تفضي ببعض ذكرياتهـا فلزمت الصمت ..

قالت :

ــ لقد جئت الى هذا البيت منـذ اكثر من اربعين عاما .. جئت عقب وفاة اختي .. وتلبية لرغبة ارستيـد .. كانت اختي قد تركت له سبعة اولاد لا يزيد عمر اصغرهم عن عـام فلم أشأ ان اترك امر تربيـة هؤلاء الصغار لهذا الرجل اليوناني . افلم اكن على حق ؟.. صحيح ان اختي مارشيا قد أخطأت بزواجها من هذا الاجنبي .. ولكنني كنت اشعر دائما بأن هذا الرجل الفظ الدميم لا بد قد سحرها بطريقة ما .. واحقاقا للحق اقول انه اطلق يدي وترك لي حرية العمـل فهيأت للاولاد الخـدم والمربيـات والطعام الجيـد ولم اطعمهـم قط ذلك الارز المقيت المطهو بالتوابل الذي يحبه ابوهم .

ــ وهل بقيت معهم حتى بعد ان كبروا ؟..

ــ نعم .. وقد يبدو ذلك عجيبا ولكن هذا ما حدث .. واعتقـد انني بقيت حبا في الحديقة .. وايضا من اجل فيليب .. ان الرجل الذي يقترن بممثلة .. لا يستطيع ان يزعم ان له زوجة وبيتا .. واني لاتساءل لماذا تلد الممثلات ؟.. انهن يتركن اولادهن وينطلقن للتمثيل في دبلن او جلاسجو .. او في اقصى الارض .. ولكنني اعتقد ان فيليب قد احسن صنعا حين قرر الاقامة هنا مع كتبه ..

ــ ما هي مهنته ؟..

ــ انه يكتب .. و لااعلم لماذا ؟.. فلا احد يقرأ كتبه التي يسجل فيها احداثا تاريخية لا تهم احدا .. هل قرأت له ؟..

فأجبت سلبا . فاستطردت قائلة :

ـــ ان مصيبة فيليب انه يملك اموالا طائلة • ولو كان بحاجة الــى قوت يومه لبحث عن عمل جاد •

ـــ وهل يربح كثيرا من كتبه ؟••

ـــ ذلك اعجب ما في الامر ، فبعض الناس يعتقدون انه حجــة في حقبة من حقبات التاريخ •• بيد انه ليس بحاجة الى ارباحه من الكتب ، فقد أراد ارستيد الافــلات من الضرائب وخاصة ضريبــة التركات فمنح اولاده مبالغ طائلة تؤمن مستقبلهم •• وكان نصيب فيليب بضع مئات من آلاف الجنيهات •• اما أخاه روجر فقد اسند اليه ارستيد ادارة الشركة المتحدة للمواد الغذائية ، واما صوفيا وجوزيفين واوستاش فان لكل منهم ايرادا لا بأس به من ريع الاسهم والسندات التي أودعت باسمائهم •

ـــ هل معنى ذلك ان موت الجد لا يفيد شخصا بذاته ؟••

ـــ هل تهزل ؟•• انه يفيدهم جميعا •• ويعود على كل منهم بمزيد من المال ••

ـــ من تظنيه بمزيد قد سمم ارستيد ليونيدس يا مس دي هافيلاند؟ هل لديك فكرة ؟••

فأجابت دون ان تتردد :

ـــ ليست لدي اية فكرة •• وذلك ما يضايقني •• لانني لا احب ان اتصور ان بين افراد الاسرة قاتلا •• ولكنني اعتقد ان رجال البوليس يشتبهون في بريندا المسكينة •

ـــ أرى انك تتكلمين بلهجــة من يعتقد ان هذا الاشتبــاه في غير موضعه ••

ـــ الواقع انني لا اعلم شيئا •• فقد كنت دائما انظر الى بريـنــدا كامرأة غبية ضحلــة •• وما هكذا في تصوري تكون المرأة التي تقتــل بالسم ••

ومع ذلك فان الانسان حين يرى امرأة في الرابعـــة والعشرين من عمرها تقترن برجل تجاوز الثمانين لا يسعه الا الاعتقاد بأن المرأة تسعى وراء المال •• ومن المحتمل بطبيعة الحال ان تكون بريندا قد قالت لنفسها عقب الزواج ان زوجها لن يعيش طويلا •• وانها ستصبح عما قريب ارملة ثريـــة ••

ولكن ارستيد كان قوي البنية ، صلب العـــود ، فلم يهزمه مرض السكر وكان من المتوقع ان يعيش حتى يبلغ المائة عام •

فمن المحتمل ان تكون بريندا قد سئمت الانتظار ••

ـ اذا صح ذلك ••

فلم تدعني مس دي هافيلاند أتم عبارتي وقاطعتني قائلة :

ـ اذا صح ذلك •• كان لنا ما نرجوه جميعا •• صحيح ان الناس سيتكلمون •• ولكن بريندا في الواقع ليست من صميم الاسرة ••

ـ اليست لديك اية نظرة اخرى ؟••

ـ كلا ••

ترى هل قالت مس دي هافيلاند كل ما عندها ؟••

اظن انها تعرف اكثر مما ذكـــرت •• ومن يدري ، فلعلها هي التي سممت ارستيد ليونيدس •

ولم لا ؟•• لقد رأيتها منذ لحظة تنتزع الحشرة من ذيل ثوبها بحزم وقسوة •• مما ذكرني بقول صوفيا ، ان كل من بالبيت ذي القباب الثلاث قادر على ارتكاب جريمة قتل •• بشرط ان تكون هناك اسباب وجيهـــة تبرر الجريمة ••

ترى ماذا كان لدى اديث دي هافيلاند من اسباب ؟••

كان لا بد لي ان اعرف المزيد عن هذه العانس العجوز لكي استطيع الاجابة على هذا السؤال ••

- ٦ -

كان باب البيت مفتوحا ، فدخلنا ، واجتزنا بهوا فسيحا ثمين الاثاث ينتهي ـ لا بسلم كما هو مألوف ـ وانما بجدار ضخم في وسطه باب •

قالت مس دي هافيلاند :

ـ هذا الباب يؤدي الى الجناح الخاص بأرستيد وزوجته اما فيليب وماجدا فيقيمان في الطابق الاول ••

وانحرفنا يسارا في دهليز طويل ينتهي بسلم يؤدي الى الطابق الاول، ودخلنا قاعة استقبال أنيقة ذات أثاث رصين وستائر ثمينة وتزينها أصص الزهور وصور بعض الممثلين والممثلات •

قالت مس دي هافيلاند :

ـ اعتقد انك تود ان ترى فيليب •

فسألت نفسي •• هل أود حقا ان اراه ؟•• انني جئت لمقابلة صوفيا وقد قابلتها ، ووافقت على الخطة التي رسمها ابي•• ثم هرعت الى المطبخ•• لشد ما احتاج اليها الآن ، لترشدني الى ما ينبغي عمله •

هل اقابل فيليب ليونيدس بصفتي صديق ابنته ؟.. او اقابله كشخص يريد التعرف به (لسبب اخترعه) ؟.. او بصفتي من اعوان البوليس ؟..

لقد ألقت علي السؤال تأدبا .. وهي تعلم ان اجابتي لن تجدي شيئا .

ــ انه في قاعة المكتبة .. فهلم بنا اليه ..

واجتزنا دهليزا آخر .. ودخلنا من باب لنجد الكتب من الارض الى السقف .. وثمة كتب في كل مكان .. فوق الموائد وعلى المقاعد .. وعلى الارض .. ولكنها لا توحي الى الناظر بوجود فوضى ..

وكان جو الغرفة رطبا .. وقد افتقدت فيه رائحة كنت اتوقعها .. هي رائحة التبغ .. من المحقق ان فيليب ليونيدس لم يكن يدخن ..

★ ★ ★

كان جالسا امام مكتبه فنهض واقفا حالما دخلنا ، ورأيت رجلا يناهز الخمسين من عمره طويل القامة على جانب كبير من الوسامة ..

لقد أجمع الذين حدثوني عن ارستيد ليونيدس على ان الرجل كان دميما غاية الدمامة فلم اتوقع ان ارى لابنه هذا الوجه الوسيم بقسماته الجميلة واستدارته المنتظمة . وأنفه المستقيم وجبينه المرتفع ، في اطار من شعر غزير وخطه الشيب ..

وقدمتني اليه أديث دي هافيلاند فشد على يدي بحرارة وسألني ببساطة عن صحتي .. ولكني أحسست رغم ذلك بأن أمري لا يهمه .. وأزعجني ذلك الى حد ما ..

قالت مس دي هافيلاند تحدثه :

ــ اين اذن رجال البوليس ؟.. ألم يأتوا لمقابلتك ؟..

فأجاب وهو ينظر الى بطاقة على مكتبه :

ــ انني في انتظار قدوم المفتش تافرنر بين لحظة واخرى ..

ــ واين هو الآن ؟..

ــ لا اعلم يا خالتي .. ربما كان في الطابق الاول ..

ــ مع بريندا ؟..

ــ اؤكد لك انني لا اعلم .

ولم يكن في مظهر فيليب ليونيدس ما يوحي بأنه يمكن ان يتورط في ارتكاب جريمة ..

ــ وهل استيقظت ماجدا ؟..

ــ لا اعلم .. انها قلما تستيقظ قبل الساعة الحادية عشرة .

ــ يخيل الي انني اسمع صوتها ..

والواقع ، انني سمعت صوتا ثاقبا يقترب بسرعة .. ثم رأيت سيدة تدخل الغرفة .. او على الاصح (تقتحمها) .

كانت تدخن من خلال مبسم طويل عضت عليه بأسنانها ، وتضم بيدها على جسدها غلالة رقيقة وردية اللون .. بينما انسدل شعرها الاشقر الطويل على كتفيها ..

نظرت الينا بعينين زرقاوين واسعتين .. وانطلقت تتكلم بسرعة وبصوت أجش لا يخلو من عذوبة ، وهي تنطق بالالفاظ نطقا سليما ..

قالت :

ــ كلا يا عزيزي ... لم اعد اطيق كل هذا ... ان اعصابي تتمزق كلما فكرت فيما سوف تكتبه الصحف .. صحيح انها لم تنشر شيئا بعد، ولكنها ستبدأ حتما عما قريب .. ثم انني لا اعلم ماذا يجب ان ارتدي خلال التحقيق .. لا بد من ثوب محتشم .. لا يكون اسود اللون .. اظن انه ينبغي ان ابتاع ثوبا خاصا لهذه المناسبة .. ولكن رجال البوليس

سوف يتعقبونني اذا خرجت •• ومن يدري ماذا سيعتقدون ؟؟!! انني اعجب لك يا فيليب •• كيف تستطيع مواجهة الامور بمثل هذا الهدوء ؟• ألا تعلم انه محظور علينا ان نغادر البيت ؟•• اي عار اكبر من هذا !! يا الهي !! كم اشعر بالحزن كلما فكرت في ذلك العجوز العزيز المسكين • وكيف كان يغمرنا بعطفه رغم أفاعيل تلك المرأة الشريرة ورغم سعيها بالوقيعة بيننا وبينه ؟•• لو قد نجحت مؤامرتها وغادرنا البيت لحققت كل اهدافها •• تصور رجلا مسكينا في الثمانين من عمره وحيدا في براثن مخلوقة كهذه !! ان من حق أسرته ان تجزع وان تخشى العواقب •• وبهذه المناسبة •• اظن ان هذا هو الوقت المناسب لظهور المسرحية التي وضعت عن (اديث تومسون) •• تلك الزوجة الغادرة التي اتفقت مع عشيقها على قتل زوجها •• ان جريمة بريندا ستكون اعلانا هائلا للمسرحية •• ودور أديث تومسون يناسبني تماما •• يزعم البعض انني اصلح لادوار الكوميديا •• ولكنني اعرف كيف سأستغل النص في هذه المسرحية •• سألعب الدور في هدوء وبساطة الى ان •••

وفجأة •• لوحت بساعديها •• فتسببت هذه الحركة في سقوط سيجارتها على المكتب • فتناول فيليب السيجارة في هدوء وأطفأها وألقى بها في سلة المهملات •

واستطردت (ماجدا) قائلة بلهجتها المسرحية :

ـ الى ان تحين اللحظة التي سأجعل فيها فرائص النظارة ترتعد من الرعب ••

وانقلبت سحنتها ذعرا واتخذ وجهها صورة تختلف تماما عن صورة امرأة ملك عليها الهلع كل حواسها •

ثم انبسطت أسارير وجهها ونظرت الي وسألتني اما كذلك يجب ان تؤدي الدور ؟•• فأجبتها بالايجاب رغم انني لم اكن اعرف شيئا عن

المسرحية او عن أديث تومبسون •• ولكنـــي كنت شديد الحرص على كسب مودة والدة صوفيا •

قالت :

ـ ان اديث تومبسون تشبه برينـــدا الى حد كبير •• يا الهي !! كيف لم أفطن من قبل الى هذه الحقيقة ذات الدلالة الخطيرة •• لعل من الخير ان الفت اليها نظر مفتش البوليس •

فقال فيليب :

ـ هل من الضروري ان تقابلي مفتش البوليس يا ماجدا ؟•• انني سأفضي اليه بكافة المعلومات التي يريدها •

ولكنها صاحت محتجة :

ـ بل من الضروري جدا ان أقابله واتحـــدث اليه ايها العزيز •• انك تفتقر الى الخيال وتفوتك ملاحظة التفصيلات الصغيرة الهامـــة •• ويجب ان يعـــرف المفتش بكل دقة ووضوح جميـــع الامور التافهة التي لاحظها بعضنا وبدت في حينها غامضة مبهمة •

ودخلت صوفيا في هذه اللحظة وسمعت حديث أمها فقالت :

ـ ماذا تقولين يا اماه ؟•• لا شك انك لا تريدين ان تسردي على المفتش مجموعة من الاكاذيب !!!

ـ ولكن يا صوفيا •• يا حبيبتي ••

ـ انني اعرف ما يدور بخلـــدك •• واعرف الدور الرائـــع الذي أعددت نفسك لتمثيله •• ولكني اؤكد لك انك على خطأ ••

ـ ماذا تعرفين انت عن •••

ـ انني اعرف ما يجب ان تفعليـــه ، تكلمي بايجاز •• واحتفظي بمعلوماتك لنفسك ، وكوني على حذر •• واحمي الاسرة •

فبدا على وجه ماجدا من دلائل الحيرة ما يبدو على وجوه الاطفال ، وقالت :

ـ اذن انت تعتقدين حقا ان •••
ـ نحن لا نعرف شيئا مؤكدا •• هذا هو المبدأ •
ورأت صوفيا الابتسامة التي ارتسمت على شفتي أمها فاستطردت قائلـة :
ـ لقد اعددت لك قدحا من الكاكاو •• انه في انتظارك على المائدة في قاعة الاستقبال •
ـ احسنت صنعا ايتها العزيزة •• آنني اكاد اموت جوعا ••
وسارت ماجدا الى الباب ، وهنـاك نظرت وراءها وقالت ، وانا لا اعلم هل كانت توجه الحديث الي •• ام الى صفوف الكتب خلفي :
ـ انت لا تعلم مبلغ سعادة الام حين تكون لها ابنة تحبها •
وخرجت •• فتنهدت مس دي هافيلاند وقالت :
ـ الله وحده يعلم ماذا ستقول لمفتش البوليس •
فقالت صوفيا :
ـ اطمئني •• سيكون كل شيء على ما يرام •
ـ انها خليقة بأن تحكي اي شيء ••
ـ كلا يا خالتي •• انها ستطيع تعليمـات المخرج •• والمخرج في هذه المسرحية هو انا ••
قالت ذلك وخرجت لتلحق بأمها •• ولكنها ما لبثت ان عادت على الاثر لتعلن الى أبيها ان المفتش تافرنر يرغب في مقابلته •
واستطردت قائلة :
ـ وارجو الا تجد غضاضة في ان يشهد تشارلس هذا اللقاء بينك وبين المفتش •
ودهش فيليب ليونيدس ، ولكنه اجاب بأن الامر سيان عنده •
وبعد لحظة ، دخل تافرنر بجسمه الضخم ، وخطواته الثابتة ••

وكانت مس دي هافيلاند اول من تكلم •• قالت :

ــ هل انت بحاجة الي يا سيدي المفتش ؟••

ــ ليس الآن يا آنسة •• ولكن فيما بعــد اذا سمحت لي ببعض دقائق من وقتك •

ــ بكل تأكيد •• وسوف تجدني في الطابق الاول •

وخرجت ، وجلس تافرنر ، وعاد فيليب ليونيدس الى مقعده خلف المكتب •

ــ أعلم انك رجل كثير المشاغل يا مسيو ليونيدس ، ولكني لن أثقل عليك طويلا •• لقد رأيت من واجبي ان أنبئك بأن شكوكنا قد تحققت ، وان أباك لم يمت موتة طبيعية ، وانما مات مسموما بجرعة كبيرة من المادة المعروفة باسم الايزيرين •

فأومأ فيليب برأسه علامة الموافقة •• ولم يبد عليه شيء من دلائــل الانفعــال •

قال المفتش :

ــ هل ما ذكرته لك الآن يوحي اليك بآية فكرة ؟••

ــ كلا •• واعتقادي هو ان ابي ذهب ضحية خطأ مؤسف •

ــ أتعتقد ذلك حقا ؟••

ــ ان الامر واضح •• وحدوثه محتمل •• ولا تنس ان ابي كان في العقد الثامن من عمره وان قوة ابصاره ضعفت كثيرا •

ــ تعني انه ربما خلط بين الانسولين والايزيرين وسكب محتويات قنينة احدى المادتين في قنينة المادة الاخرى • هل ترى ذلك ممكنا ؟••

فصمت فيليب ليونيدس ولم يجب ••

قال تافرنر :

ــ اننا عثرنا بقنينة الايزيرين ولم نجد عليها اية بصمات ، وهذا امر

يبعث على الدهشة .. اذ كان ينبغي ان نجد عليها بصمات ابيك او بصمات زوجته .. او خادمه .

فرفع فيليب رأسه وقال :

ـ الواقع ان هذا صحيح .. ولكن هل فكرت في امر الخادم ؟..

ـ هل تريد ان تقول ان الخادم جونسون ربما يكون هو القاتل ؟؟ انني اوافقك على انه كان بوسعه ان يرتكب الجريمة .. ولكن ماذا يدفعه الى ارتكابها ؟.. لقد كان ابوك يعطيه منحة سنوية تزداد عاما بعد عام . وكان يصارحه بأن هذه المنحة تعوضه عما كان ينبغي ان يوصي له بعد موته . ومن هذا يتبين لك انه كان من مصلحة جونسون ان يعيش ابوك اطول مدة ممكنة .. لان المنحة السنوية التي يحصل عليها تزداد عاما بعد عام . يضاف الى ذلك ان التفاهم كان تاما بين أبيك وخادمه .. وانه ليس في ماضي الخادم ما يثير الريبة فهو خادم مخلص يعرف عمله وواجباته.

وصمت قليلا ثم استطرد قائلا :

ـ اننا لا نرتاب في جونسون .

فأطرق فيليب برأسه ولم يتكلم .

قال المفتش :

ـ هل تستطيع ان تذكر لي يا مستر ليونيدس ماذا فعلت يوم ان مات ابوك ؟..

ـ طبعا ايها المفتش .. انا لم ابرح هذه الغرفة طول النهار .. فيما عدا وقت تناول الطعام .

ـ ألم تر أباك في ذلك اليوم ؟..

ـ لقد ذهبت اليه بعد الافطار لاحييه تحية الصباح كما تعودت ان افعل كل يوم .

ـ هل وجدته بمفرده ؟..

ـ كانت زوجته معه في الغرفة .

ـ هل كان يبدو كما تعودت ان تراه ؟..

فأجاب فيليب بشيء من السخرية ان اباه لم يكن يبدو وكأنه يتوقع اغتياله في ذلك اليوم .

ـ هل كان ابوك يقيم في جناح مستقل تماما ؟..

ـ نعم .. ولا سبيل للوصول الى هذا الجناح الا عن طريق الباب الموجود بالبهو .

ـ هل يغلق هذا الباب بالمفتاح ؟..

ـ كـلا .

ـ أبدا ؟..

ـ ابدا .. على قدر ما اعلم .

ـ اذن فالمرور مباح من والى الجناح الخاص بأبيك ؟..

ـ نعـم .

ـ كيف علمت بنبأ الوفاة ؟..

ـ جاء اخي روجر ـ الذي يقيم في الجنـاح الغربي من الطابـق الاول ـ جاء الى مكتبي وهو يعدو وقال لي ان ابي يشعر بانهيار ويتنفس بصعوبة وانه يبدو في حالة سيئة .

ـ وماذا فعلت ؟..

ـ اتصلت تليفونيا بالطبيب ، وذلك ما لم يفكر فيه احد . ولكني لم اجده ، فتركت له رسالة بأن يحضر بأسرع ما يستطيع . ثم صعدت الى الطابق الاول ، ووجدت ابي في حالـة سيئة فعلا وقد توفي قبل حضور الطبيب .

وكان يتكلم وليس في صوته اي اثر للانفعال .. كمن يروي حادثة لا صلة له بها من قريب او من بعيد .

ــ واين كان باقي افراد الاسرة ؟..

ــ كانت زوجتي في لندن وقد عادت بعد قليـــل ، واظن ان صوفيا كذلك لم تكن في البيت .. اما جوزيفين واوستاش فكانا في غرفتهما .

ــ ارجو الا تستاء يا مستر ليونيدس اذا انا سألتك عن مدى تأثير موت ابيك على مركزك المالي .

ــ انا اعلم جيدا يا سيدي المفتش ان هذه امور يهمك ان تعرفها.. لقد حرص ابي منذ سنوات عديدة على ان يؤمن مستقبلنا ويكفل لكل منا استقلاله المالي . فجعل من اخي المدير والمساهـــم الرئيسي في اكبر واهم شركاته ، وهي الشركـــة المتحدة للمواد الغذائيـــة ، واعطانـــي من المال والسندات ما يوازي نصيب اخي في الشركة .. اي نحـــو مائة وخمسين الفا من الجنيهات . استطيع التصرف فيها كما اريد .

ــ وهل بقيت له بعد هذه المنح والهبات ثروة جسيمة ؟

ــ كلا .. انه لم يحتفظ لنفسه الا بايراد متواضع .. يكفي ــ على حد قوله ــ لاثارة اهتمامه بالحياة .

وابتسم لاول مرة واستطرد قائلا :

ــ بعد ذلك زاول كثيرا من الاعمال المختلفة واثرى مرة اخرى .. بل اصبح اكثر ثراء مما كان في اي وقت مضى ..

ــ عندما قررت انت واخوك الاقامة هنا .. هل كان ذلك بسبب بعض المتاعب المالية ؟..

ــ كلا .. اننا قررنا ذلك لان الاقامة هنا تطيب لنا ، ولان ابي قال مرارا وتكرارا انه يسعـــده ان نعيش معه تحت سقف واحد . وبصرف النظر عن حبي الخالص لابـــي .. فقد كان لدي من الاسباب الشخصية ما حملني على الاقامة مع الاسرة ، فجئت الى هنا في سنة ١٩٣٧ ، ولحق بي اخي في سنة ١٩٤١ عندما هدمت القنابل بيته في لندن .

ـ هل لي ان أسألك يا مستر ليونيدس عما اذا كانت لديك اية فكرة عن مضمون وصية أبيك ؟..

ـ انني اعرف جيدا ما جاء بالوصية .. لقد اعاد كتابتها في سنة ١٩٤٥ عقب انتهاء الحرب .. جمعنا في مكتبه فيما يشبه المجلس العائلي، وطلب الى محاميه مستر جيتسكيل ان يتلو علينا الوصية واعتقد ان هذا المحامي قد ابلغك مضمونها .. لقد اوصى فيها لارملته بمائة الف جنيه خالية الضرائب ، وقسّم ما تبقى من ثروته الى ثلاثة اقسام ، احدها لي والآخر لاخي .. والثالث لاولادي الثلاثة .. صوفيا وجوزيفين واوستاش .

ـ ألم يوص بشيء للخدم او للمؤسسات الخيرية ؟..

ـ كلا .. ولكنه كان يعطي الخدم منحا سنوية تتزايد عاما بعد عام .

ـ معذرة عن هذا السؤال يا مستر ليونيدس .. هل انت حاليا في مأزق مالي ؟..

ـ انت تعلم يا سيدي المفتش ان الضرائب باهظة .. ولكن ايرادي يكفيني ويزيد .. وقد كان ابي سخيا معنا كل السخاء ، وعند الضرورة لم يكن يحجم عن معونتنا .

ثم اردف قائلا بصوت هادىء :

ـ في استطاعتي ان اثبت لك بالدليل ايها المفتش انه ليست لدي اية اسباب مالية تجعلني اتمنى موت ابي .

ـ يؤسفني يا مستر ليونيدس ان اكون قد اشعرتك بأنني افترض غير ذلك .. ومن سوء الحظ ان مقتضيات التحقيق تلجئني الى القاء اسئلة شخصية جدا كالسؤال الذي سألقيه عليك الآن خاصا بالعلاقة بين ابيك وزوجته . هل كانت العلاقة بينهما حسنة ؟..

ـ كانت حسنة جدا على قدر ما اعلم .
ـ هل كانا يتشاجران ؟..
ـ لا اظن ذلك .
ـ هل كان بينهما فارق كبير في السن ؟..
ـ نعـم .
ـ هل وافقت على زواج ابيك من زوجته الثانية ؟..
ـ انه لم يستطلع رأيي .
ـ هذه ليست اجابة يا مستر ليونيدس .
ـ ما دمت تصر .. فانني اعترف لك بأنني كنت انظـر الى هذا الزواج على انه خطأ .
ـ هل قلت ذلك لابيك ؟..
ـ انني لم اعلم بأمر الزواج الا بعد ان اصبح حقيقة .
ـ اظن ان النبأ كان صدمة لك ؟
فصمت فيليب ولم يجب ، وقال تافرنر :
ـ وهل غضبت من ابيك بسبب هذا الزواج ؟..
ـ انه كان حرا يفعل ما يشاء .
ـ وهل كنت دائما على علاقة طيبة مع زوجة ابيك ؟..
ـ دائمـا .
وانتقل تافرنر الى موضوع آخر .. وقال :
ـ هل تستطيع ان تحدثني عن مستر لورانس براون ؟.
ـ لا اظن .. ان ابي هو الذي استخدمه .
ـ ولكنه استخدمه لتعليم اولادك يا مستر ليونيدس .
ـ هذا صحيح .. فقد اصيب اوستاش بشلل الاطفال . ومن حسن الحظ انها كانت اصابة خفيفة .. ولكن رأى من الافضل الا يتابع دراسته في المدارس العامة .. واقترح ابي ان يعهد به وباخته جوزيفين الى مدرس

خاص • وكان من المتعذر الحصول على مثل هذا المدرس في زمن الحرب لانخراط الجميع في سلك الجندية •• واخيرا وجدنـا لورانس براون •• الذي قدم الينا شهادات طيبة رضي عنها ابي وخالتي •• التي تكفلت بتربية الاولاد • فاستخدمناه •• ويجب أن اقرر احقاقا للحق انه مدرس كفء حي الضمير •

ــ هل يقيم معكم في هذا البيت ؟••

ــ كلا •• فليس في البيت متسع له •

ــ هل لاحظت في اي وقت ــ ومعذرة على هذا السؤال ــ وجود علاقة خاصة بين لورانس وزوجة ابيك ؟••

ــ كـلا •

ــ هل سمعت كلاما عن وجود مثل هذه العلاقة ؟••

ــ انا لم اتعود استراق السمع على الابواب ايها المفتش •

ــ صدقت •• اذن لا تعرف شيئا في هذا الصدد ؟••

ــ كـلا ••

ــ فقال تافرنر وهو ينهض :

ــ حسنا •• لم يبق لي الا ان اشكرك يا مستر ليونيدس •

وخرج فتبعته •• وما ان وصلنا الى الدهليز حتى قال :

ــ هو ذا زبون صعب المراس •

- ٧ -

قال المفتش تافرنر مستطردا :

ــ والآن •• هلم بنا تتجـاذب اطراف الحـديث مع مسز فيليب ليونيدس في مسرح ماجدا ويست •

ــ هل هي ممثلة جيدة ؟••

ــ انها من اولئك اللائي يستطعن النجاح •• قامت ببطولة مسرحية او مسرحيتين في حي (الويست اند) واحرزت بعض الشهرة في المسرحيات الكلاسيكية ويبدو ان لها معجبين في المسارح التي يختلف اليها المتحذلقون ••• والمؤسف في امرها انها ليست بحاجة الى التمثيل كمصدر للرزق • ففي استطاعتها دائما ان تختار الدور الذي تريده ، وان تسهم في تمويـل المسرحية التي تعتقد ان بها دورا يصلح لها ثم يظهر في النهاية ان الدور لا يلائمها اطلاقا •• صفوة القول انهم يعدونها هاوية لا محترفة •• صحيح انها موهوبة •• ولكن المخرجين لا يحبونها لاعتدادها بنفسها وثرثرتها••

وما ان غادرنا قاعة الاستقبال حتى لحقت بنا صوفيا وقالت للمفتش ان امها على استعداد لاستقباله •

ودخلنا الغرفة التي تقدمتنا اليها •• فرأيت امرأة كدت ان لا أعرفها تجلس على أريكة فخمة في أحد أركان الغرفة ••

كانت ترتدي تاييرا رماديا انيقا ، يطل منه قميص بنفسجي ويتدلى فوق صدرها عقد ثمين من اللؤلؤ •••

ومرت لحظة قبل ان اعرف في هذه السيدة الانيقة الوادعة تلك المرأة الصاخبة التي رأيتها قبلا في مكتب فيليب ليونيدس •

قالت بصوت فهمت من نبراته انها مصممة على الاحتفاظ بهدوئها حتى النهاية مهما كلفها ذلك •

ـ تفضلا بالجلوس •• هل تدخن أيها المفتش ؟•• ان هذه القضية تقلقني حتى لاشعر في بعض الاحيان انني في حلم •• بماذا استطيع ان أفيدك ايها المفتش ؟••

فأجاب تافرنر :

ـ اسمحي لي اولا يا سيدتي بأن اسألك اين كنت عندما توفي مستر أرستيد ••

ـ كنت قادمة بالسيارة من لندن ، فقد تناولت طعام الغداء مع صديقة لي بمطعم (ايفي) ، ثم شهدنا عرضا للازياء وغادرت لندن بعد ذلك •• وعندما وصلت الى هنا علمت ان مستر ارستيد قد توفي ••

وارتجف صوتها في العبارة الاخيرة بالقدر اللازم تماما •

ـ هل كنت تحبينه ؟••

ـ بل كنت أعبده ••

وارتفع صوتها قليلا ، فدقت صوفيا باصبعها على اطار صورة فوق الموقد •• وكانت النتيجة ان ماجدا خفضت صوتها وهي تقول :

ـ نعم •• كنت أحبه •• كلنا كنا نحبه •• فقد كان لطيفا معنا جميعا •

ـ هل كنت على وفاق مع زوجته ؟••

ـ مع بريندا ؟•• نحن لم نكن نراها الا قليلا ••

ـ لماذا ؟••

ـ لم تكن لنا صلة بها •• مسكينة بريندا •• لا بد انها مرت بأوقات عصيبة ••

وهنا نقرت صوفيا باصبعها على اطـار الصورة مرة اخرى •• قال المفتش :

ـ أحقا ؟•• ماذا تعنين ؟••

فهزت ماجدا رأسها وقالت وعلى شفتيها ابتسامة حزينة :

ـ لا اعـلم •

ـ هل كانت سعيدة ؟••

ـ أظن ذلك •

ـ هل كانت تتشاجر مع زوجها ؟••

ـ الحق انني لا أعلم يا سيدي المفتش •

ـ اعتقد انها كانت على صلة وثيقة بلورانس براون ••اليس كذلك؟

فاعتدلت ماجدا في جلستها فجأة وقالت بكبرياء :

ـ يخيل الي انه ليس من حقك ان تلقي علي مثل هذه الاسئلة ايها المفتش •• لقد كانت لبريندا صلات وثيقة بجميع الناس ، فهي سيـدة مجتمع من الطراز الاول •

ـ ومستر لورانس براون •• هل هو شخص لطيف ؟•

ـ انه شاب هادىء دمث الخلق ••

ـ هل أنت راضية عنه كمدرس ؟••

ـ كل ما أعلمه هو ان فيليب راض عنه كل الرضى •

وهنا لجأ تافرنر الى اسلوب أكثر صراحة •• قال :

ـ معذرة عن هذا السؤال ولكن هل كـانت هناك مغازلات بـين

لورانس براون ومسز بريندا ليونيدس ؟..

فأنبعثت ماجدا واقفة كسيدة غضبى وصاحت :

ـ أنا لم أر شيئا وليس من حقك ان تستجوبني في هذا الموضوع.. لقد كانت بريندا زوجة حماي .

فكدت أن أصفق اعجابا ..

أما المفتش فانه نهض بدوره وهو يقول :

ـ هذا سؤال ربما يحسن بي ان القيه على الخدم ..

فصمتت ماجدا ولم تجب ، وشكرها تافرنر وحياها بايماءة من رأسه وانصرف .

وصاحت صوفيا على الاثر :

ـ برافو .. !! أحسنت يا أماه .. حقا لقد كنت رائعة .

فأجابت ماجدا :

ـ نعم .. هكذا كان يجب ان العب هذا الدور .

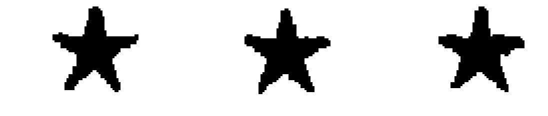
ونظرت صوفيا الي وقالت :

ـ أما كان يحسن بك ان ترافق المفتش ؟..

ـ ولكن يا صوفيا ...

ولم اتم عبارتي .. لم يكن باستطاعتي ان أسألها على مسمع من أمها عن الدور الذي ينبغي ان أقوم به في ذلك البيت ..

ان ماجدا ليونيدس لم تعرني حتى تلك اللحظة أي اهتمام .. وسواء كنت مخبرا صحفيا أو خطيبا لابنتها أو مرشدا مغمورا يعمل في خدمة البوليس .. فانني كنت بالنسبة اليها مجرد (جمهور) يشهد تمثيلها ويصفق لها او لا يصفق .



وأومأت صوفيا الي برأسهـا ، فنزلت على ارادتهـا . وهرولت في أثر تافرنر ولحقت به في البهو وهو يمر بالباب المؤدي الى السلم ..

قال لي انه في طريقه لمقابلـة روجر .. الاخ الاكبر .. فقررت ان اصارحه على الفور بمشكلتي ...

قلت له :

ـ حدثني يا تافرنر .. ماذا افعل انا هنا ؟..

فنظر الي في دهشة وقال :

ـ ماذا تفعل هنا ؟..

ـ نعم .. اذا سئلت عن صفتي هنا فبماذا أجيب ؟.

ـ هل هذا ما يقلقك ؟..

ثم استطرد بعد لحظة تفكير :

ـ هل سئلت ؟..

ـ كـلا .

ـ اذن لا تفكر في الامر ولا تدلي بأي ايضاح .. هذه هي الطريقة المثلى .. وخاصة في بيت كهذا .. كل انسان لديه من الهموم والمتاعب ما يصرفه عن التفكير في استجواب الآخرين ..

ان احدا لن يسألك شيئا ما دمت تتظـاهر بأن من حقك ان تكون هنا .. والآن هلم بنا .

★ ★ ★

وما ان شرعنا في ارتقاء السلم حتى قال :

ـ لا شك انك لاحظت ان جميع الاسئلة التي ألقيتها عليهم لا اهمية لها .. وانني لا يعنيني ماذا كان يفعل هذا او ذاك عندما لفظ العجـوز أنفاسه الاخيرة .

فسألته في دهشة :

ـ لماذا تستجوبهم ؟..

ـ لان استجوابهم يهيىء لي فرصة لمعرفة اسباب الخلاف بينهم .. ولان ثرثرتهم قد تتضمن معلومات تفيدنا .

ثم استطرد قائلا بصوت خافت :

ـ قلبي يحدثني بأن ماجدا ليونيدس تستطيع اذا شاءت ان تدلـي الينا بحقائق على جانب عظيم من الاهمية .

ان ما يجـري في هذا البيت هو ان كل انسان فيه يملك القـدرة والوسيلة لارتكاب الجريمة .. وانا لذلك لا اتحدث عن المجرم .. وانما ابحث عن الدافع الى الجريمة .

★ ★ ★

وتوقفنا في نهاية السلم امام باب مغلق ، وقرع المفتش الباب ففتحه عملاق ضخم الجسم ، عريض الكتفين ، مشوش الشعر .

كان دميم الوجه .. دمامة تثير العطف .

وذكر تافرنر اسمه .. فقال الرجل :

ـ تفضلا بالدخول .. لقد كنت أهم بالخروج ، ولكن لا ضرورة لذلك الآن .. تعاليا الى قاعة الاستقبال .. وسأخطر كليمنسي بقدومكما .. آه .. انت هنا ايتها العزيزة ؟.. هذا هو المفتش تافرنر .. اظن انه لا توجد سجائر هنا !!.. صبرا لحظة . سأحضر بعض السجائر واعـود فـورا .

وغادر المكان .. واحسسنا بنعمة السكون بعد الجلبـة الشديدة التي احدثها .

وكانت زوجته تقف على مقربة من النافـذة .. فنظـرت اليها ولم أتمالك من الاحساس بأنها شخصية تثير الفضول ..

كذلك اثار فضولي جو الغرفة التي دخلناها ..

كانت الجدران عارية من كل زخرف ، خالية من اللوحات والزهور فيما عدا لوحة فوق الموقد عليها رسوم هندسية متشابكة ..

اما الاثاث فكان قليلا .. بضعة مقاعد ، ومائدة مغطاة بالزجاج ، وخزانة صغيرة للكتب ..

ولكن كان هناك كثير من الضوء .. والفراغ والهواء .

★ ★ ★

كان الفارق بين قاعة الاستقبال في شقة ماجدا بأثاثها الفخم ولوحاتها وآنيتها وزهورها وبين قاعة الاستقبال في شقة كليمنسي بهدوئها وبساطتها المحببة كالفارق بين المرأتين .. فالاولى لها ثلاثون شخصية مختلفة ... اما الثانية فلها شخصية واحدة هي شخصيتها الحقيقية التي لا ترضى بأن تتقمص شخصية سواها .

كانت كليمنسي تناهز الخمسين من العمر لها شعر قصير قد وخطه الشيب ، وعينان جميلتان تشعان ذكاء وحيوية ، وكانت ترتدي ثوبا احمر من الصوف يبرز نحول جسدها وطول قامتها .

دعتنا الى الجلوس وسألت تافرنر عما اذا كان هناك جديد فأجاب :

ـ نعم يا سيدتي ... ثبت ان الوفاة نجمت عن التسمم بمادة الايزيرين .

فقالت بنفس الصوت الهادىء وهي مستغرقة في التفكير :

ـ انها اذن جريمة قتل .. الا يحتمل ان يكون الحادث قد وقع قضاء وقدرا .

ـ كلا بالتأكيد .

ـ هل لي ان ارجوك بالترفق بزوجي ايها المفتش ؟.. هذا النبأ

سيثيره •• وهو شديد الحساسية وكان يحب أباه حبا جما •

ــ هل كانت علاقتك بأبيه طيبة يا سيدتي ؟••

ــ كانت طيبة جدا • ثم اضافت في هدوء :

ــ ولكنني لم اكن احبه •

ــ لماذا ؟••

ــ لم اكن اقر اهدافه • ولا وسائله للوصول الى هذه الاهداف •

ــ ومسز بريندا ليونيدس ؟••

ــ بريندا ؟•• لم اكن أراها كثيرا •

ــ هل تعتقدين بأنه يمكن ان تكون هناك علاقة ما بينها وبين لورانس براون ؟••

ــ لا اعتقد ذلك •• ولو كانت هناك علاقة لما علمت بها •

كانت نبرات صوتها توحي بأن الامر لا يهمها ••

ودخل روجر ليونيدس في هذه اللحظة كالعاصفة قال :

ــ تأخرت قليلا لانني تلقيت محادثة تليفونية •• ماذا عندك من الانباء ايها المفتش ؟•• هل عرفتم كيف مات أبي ؟••

ــ مات مسموما بمادة الايزيرين ••

ــ يا الهي !!•• اذن فان تلك المرأة لم تستطع الانتظار !!•• لقد أنقذها من الوحل فكان جزاؤه منها القتل •• كلما فكرت في •••

ــ هل لديك من الاسباب ما يحملك على اتهامها ؟••

فجرى بأصابع يديه في شعر رأسه وأجاب وهو يذرع ارض الغرفة:

ــ اسباب ؟•• اذا لم تكن هي فمن سواها ؟•• انني لم اثق فيها قط ولم اشعر نحوها بأي عطف ••لا احد منا يحبها •• لقد جمدنا في أماكننا ، انا وفيليب يوم أنبأنا ابي بما فعل •• كان جنونا ان يتزوج في تلك السن •

ان ابي كان رجـــلا مدهشا ايها المفتش •• وقد ظل يحتفظ وهو في السبعين بذكاء ويقظة ابن الاربعين •

انني ادين له بكل ما املك في هذه الدنيـــا •• ولم يحدث قط انه امتنع عن مساعدتي عند الضرورة •

قال ذلك وتهالك في احد المقاعد •• فوضعت زوجته يدها على كتفه بلطف وقالت :

ـ اهدأ وتمالك نفسك يا روجر ••

ـ كيف أهدأ حين أفكر في •••

ـ يجب علينا جميعا ان نحتفظ بهدوئنـــا يا روجر •• ان المفتش تافرنر لا يبغي الا مساعدتنا ••

فنهض روجر من مقعده فجأة وصاح :

ـ هل تعلمين ماذا أريد ان افعل ؟•• اريد ان اخنق هذه المـرأة بيدي •• لو كانت امامي الآن لدققت عنقها •

ـ روجر !!••

كان صوتها حازما فنكس روجر رأسه وقال :

ـ معذرة ابنتها العزيزة •

ثم نظر الينا وأردف :

ـ معذرة •• فقد استبد بي الغضب ••

وغـــادر الغرفة مرة اخرى ، فشيعتـــه كليمنسي بابتسامة غامضـــة وقالت :

ـ انه رغم صخبه وهياجه لا يؤذي ذبابة •

فأجاب تافرنر في آدب انه واثـــق من ذلك ، ثم القى عليها بضعـــة أسئلة فأجابته بدقة وايجاز • •قالت عن تحركات روجر يوم وفاة أبيه انه قضى ساعات الصباح في مقر ادارة الشركة المتحدة للمواد الغذائية بلندن،

وعاد بعد الظهر ، حيث اجتمع بأبيه فترة قصيرة كما اعتـاد ان يفعل كل يوم • اما هي فانها ذهبت كالعادة الى مقر عملها بسعهد (لامبرت) ولم تعد الا في الساعة السادسة مساء •

ـ هل رأيت ارستيد ليونيدس في ذلك اليوم ؟••

ـ كلا ، رأيته لآخر مرة في اليوم السابق ، حين تناولنا القهوة معه بعد العشاء •

ـ ألم تريه يوم وفاته ؟••

ـ كلا •• ولكني ذهبت الى شقته في ذلك اليوم للبحث عن غليون روجر ، ووجدت الغليون على مائدة في الردهـة حيث نسيه روجر ، فلم أشأ ان ازعج العجوز •• لانه اعتاد ان يغفو حوالي الساعة السادسة •

ـ متى علمت ان حاله قد ساء ؟••

ـ جاءت بريندا وأنبأتنا •• كان ذلك في حوالي الساعـة السادسة والنصف •

وكان تافرنر ينظـر الى كليمنسي طول الوقت ولا يحول عينيه عن وجهها •••

واخيرا القى عليها بضعة اسئلة عن طبيعـة عملها في معهد لامبرت ، فقالت انها تقوم ببعض البحوث عن تحطيم الذرة ••

وقبل ان ينصرف تافرنر ، طلب ان يلقي نظرة على الشقة ، فدهشت كليمنسي ولكنها اجابته الى ما طلب •

كان المخدع بفراشيه الصغيرين وستائره البيضاء يذكر الناظر بغرف النوم في الاديرة ، وكان الحمام لا يقل عنه تقشفا ، اما المطبخ فكان نظيفا جدا وقد نظم بحيث يوفر ما يبذل فيه من جهد •

ووصلنا الى آخر باب في الشقة ففتحته كليمنسي وهي تقول :

ـ هنا مكتب زوجي •

فتنهدت بارتياح اذ اسعدني بعد جولتـي في تلك الشقة المتواضعة التي يعبر مظهرها عن التقشف ان اجد نفسي اخيرا في غرفة تعكس شخصية صاحبها .

كان المكتب مغطى بالاوراق . والغلايين القديمة مبعثرة بين الملفات والجدران مزينة بصورة جماعيـة لطلاب ولاعبـي كريكيت وعسكريين وبلوحات بالالوان المائية تمثل المآذن وغروب الشمس ، والسفن الشراعية .. والغرفة في مجموعها تترك في نفس الزائر انطباعا بأنها لرجل يسعـد الانسان أن يتخذه صديقا .

وافسح روجر مكانا على مكتبه لكي يقدم لنا شرابا وقال :

ـ كنت بسبيل معالجة هذه الفوضى وتنظيم الاوراق .

واعتذر تافرنر وقال انه يفضل الا يتناول شرابا ، واستطرد روجر قائلا :

ـ ارجو المعذرة مرة اخرى عما بدر مني .. فانني لم اتمالك نفسي .

ونظر حوله بخوف . ولكنه اطمأن حين لم ير كليمنسي وقال :

ـ انها امرأة رائعة !!.. أتتما تعرفان طبعا من اعني ... لقد ظلت طوال هذه المحنة محتفظة بثباتها ورباطة جأشها .. وليس في استطاعتي ان اعبر عن مبلغ اعجابي بها .. انها مرت بأيام عصيبة قبل ان تتزوج .. كان زوجها الاول شابا ممتازا ولكنه مريض بالسل الرئوي .. وكان يقـوم بأبحاث علمية هامة عن (التبلور) ، ويعمل كثيرا ويربح قليلا ولكنه رفض ان يترك معمله .. فساعدته بكل ما تملك من قوة ، وبذلت بغير حساب . وانهكت قواها لتجنبه التعب والالم .. وهي تعلم عن يقين انه يسير الى القبر بخطى حثيثة .. ولم تشك ولم تتذمر .. وظلت الى آخر لحظة تقول له انها سعيدة .. ولما مات انهارت تماما ..

ولما تزوجنا .. رجوتها ان تكف عن العمل وتستريح ، ولكننا كنـا

في حالة حرب •• وكان شعورها بواجبها الوطني قويا ، فلم تستجب الى رجائي •• واستمرت في عملها حتى الآن •• انها زوجة عظيمة •• وطالما قلت لنفسي ان يوم لقائي بها كان بغير شك اسعد يوم في حياتي •• انني على استعداد لان افعل اي شيء من اجلها •

فقال تافرنر عبارة لبقة تناسب الموقف ، ثم عرج بمهارة على موضوع الزيارة وسأله :

ـ كيف علمت ان اباك في حالة سيئة ؟••

ـ جاءت بريندا وأنبأتني فأسرعت الى ابي وكنت قد تركته منذ نحو نصف ساعة في احسن حال • فوجدته يهذي ووجهه أزرق ، فانطلقت الى اخي الذي اتصل بالطبيب في الحال •• ولم يكن في استطاعتي عمل شيء •• وغني عن الذكر انه لم يتطرق الى أذهاننا في ذلك الوقت ان في الامر ما يبعث على الارتياب •

وبعد لحظة كنت وتافرنر نغادر الشقة فقال لي :

ـ ليس بين الاخوين اي تشابه •

ثم أردف بعد قليل :

ـ يتبادر الى الذهن لاول وهلة ان هذا الرجل لا يمكن ان يسمم احدا •• اما زوجته فانها من الطراز الذي لا يصده عن اهدافه اي اعتبار •

فقلت :

ـ ولكنني لا اظن انها تقتل انسانا لمجرد انها تختلف معه في الرأي •• صحيح انها اعترفت بأنها تبغض العجوز • ولكن كم عدد الجرائم التي ترتكب بسبب البغض وحده ؟•

فأجاب تافرنر :

ـ عددها قليل •• انا شخصيا لم اصادف جريمة ارتكبت لهذا السبب •• ولذلك ما زلت أصر على ان المتهمة الرئيسية هي بريندا •• والله وحده يعلم ما اذا كنا سنستطيع العثور على دليل يدينها •

- ٨ -

فتحت احدى الوصيفات الباب المؤدي الى الجناح الآخر وصعدت تافرنر بنظرة تجمع بين الخوف والاحتقار وسألته :

ـ هل تريد مقابلة سيدتي ؟..

ـ نعـم .

فقادتنا الى قاعة استقبال فسيحة واختفت ..

كان أثاث القاعة يمتاز بألوانه المرحة . وقد وضعت على الجـدار فوق المدفأة صورة لفتت نظـري .. ليس فقط لانها بريشة احد كبـار الفنانين ، وانما كذلك لانها تمثل شخصا غير عادي .. تمثل عجوزا ثاقب النظرات ، يشع وجهه نشاطا وحيوية .

قال تافرنر :

ـ هذه اللوحـة رسمها الفنـان الكبير اوجستوس جون ، كانت للعجوز شخصيته المميزة .. أليس كذلك ؟..

ـ نعـم .

كانت اجابتي المختصرة لا تعبر تعبيرا كافيا عما يدور بخلدي ••
فلقد فهمت الآن فقط وانا أتأمل الصورة ماذا عنيت أديث دي هافيلاند
حين قالت ان البيت بدون العجوز يبدو خاويا •

قال تافرنر :

ـ وها هي صورة زوجته الاولى بريشة الفنان (سارجنت) •

فاقتربت لأتأمل الصورة •

كانت موضوعة بين نافذتين ، وتعبر عن الخشونة التي تتميز بها لوحات (سارجنت) • ولكنها كانت صورة جيدة لسيدة من أغنياء الريف •• جميلة ولكن ليس ثمة ما يميزها ••• ولا يمكن ان يتصورها الانسان زوجة لهذا الطاغية القصير القامة الذي تطل صورته من فوق المدفأة •

ودخل الضابط (لام) في تلك اللحظة وقال :

ـ لقد عرفت من استجواب الخدم •• انهم لا يعرفون شيئا •

ثم جلس في احد الاركان واخرج ورقة وقلما ، واستعد لتسجيل ما سوف يدور من حديث بين المفتش والزوجة الثانية لارستيد ليونيدس •

وفتح الباب ، ودخلت بريندا •

ورأيت أمامي سيدة صغيرة الجسم ، رقيقة ، قد صبغت شفتيها وصففت شعرها الاسود ببساطة وبلا تعقيد ، وعلى الرغم من ذلك خيل الي انها تبكي قبل قدومها •

وكانت ترتدي ثوب حداد يلائمها تماما ، وتزين صدرها بعقد من اللؤلؤ •• ويدها اليسرى بخاتم من الزمرد ، ويدها اليمنى بخاتم آخر من الياقوت •

لاحظت كل ذلك بسرعة ، ولاحظت ايضا انها ترتعد خوفا •

وحياها تافرنر وقال انه آسف لان يزعجها مرة اخرى ، فأجابته

بصوت باهت :

ــ اظن ان لا سبيل لك غير ذلك ••

قـال :

ــ لا أحسبني يا سيدتي بحاجة الى ان اقـول لك ان من حقـك الاستعانة بمحاميك اذا شئت •

ــ انا لا احب مستر جيتسكيل •• ولا اريد ان اراه •

ــ بوسعك الاستعانة بأي محام آخر يقع عليك اختيارك •

ــ وهل ذلك ضروري •• انا لا احب رجال القانـون •• انهـم يربكونني •

فقال تافرنر وعلى شفتيه ابتسامة لا معنى لها :

ــ على رسلك •• هل نبدأ ؟••

فجلست على احد المقاعد وسألت :

ــ هل وجدتم شيئا ؟••

وراحت اصابعها تعبث بقماش ثوبها بحركة عصبية •

قال تافرنر :

ــ بوسعنا ان نؤكد بصفة قاطعـة ان زوجك مات مسموما بمادة الايزيرين •

ــ تعني انه قتل بالمادة التي يضع منها قطرات في عينيه ؟••

ــ يبدو انك حقنته آخر مرة بالايزيرين بدلا من الانسولين •

ــ ولكنني لم اكن اعلـم ذلك ايها المفتش •• اقسم لك انني لم اكن اعلم •

ــ اذن لا بد ان يكون احدهم تعمد استبدال الانسولين بالايزيرين •

ــ هل تعتقد ان ذلك حدث عمدا ؟•• ام خطأ ؟•• ام على سبيل الدعابة ؟••

ـ نحن لا نعتقد بأنها كانت دعابة يا سيدتي ..
ـ اذن لا بد انه احد الخدم .. انني لا ارى تفسيرا آخر ..
ـ هل انت واثقة يا سيدتي ؟.. فكري جيدا .. الم يكن هناك من يحقد على مستر ليونيدس ؟.. الم يحدث خلاف بينه وبين احد .
ـ لا اظن .
ـ سبق ان قلت انك ذهبت الى السينما بعد ظهر ذلك اليوم ..
ـ نعم .. وقد عدت حوالي الساعة السادسة والنصف ، وهو موعد الحقنة .. ولكنني ما كدت أحقنه كالعادة حتى فر لونه وأصيب بانهيار فذعرت واسرعت الى روجر .. انني قصصت عليك كل ذلك فهل يجب ان اكرره ..

وارتفع صوتها غضبا وضيقا وهي تنطق بالعبارة الاخيرة فقال تافرنر :

ـ انا آسف يا سيدتي .. هل استطيع مقابلة مستر براون ؟..
ـ تعني لورانس ؟.. لماذا ؟.. انه لا يعرف شيئا على الاطلاق .
ـ أريد مقابلته على كل حال .

فنظرت اليه بارتياب وأجابت :
ـ انه في قاعة الدرس يلقي على اوستاش درسا في اللغة اللاتينية .. هل ادعوه الى هنا ؟..

ـ كلا .. افضل ان اذهب اليه .
وغادر تافرنر الغرفة ، وتبعته مع لام . وسرنا في دهليز انتهى بنا الى غرفة فسيحة تطل على الحديقة وهناك رأينا رجلا يناهز الثلاثين ، يجلس جنبا الى جنب مع مراهق في نحو السادسة عشرة من عمره .
ورفع الاثنان رأسيهما حينما دخلنا ، واتجهت عينا اوستاش الي ؛ بينما استقرت عينا لورانس براون على تافرنر .. ولم أر في عيني انسان

من الجزع ما رأيته في عيني هذا الشاب في تلك اللحظة .. كان يبـدو وكأنه يوشك ان يموت خوفا .

نهض واقفا وقال :

ـ طاب يومك ايها المفتش ..

ـ طاب يومك .. هل استطيع ان اقول لك كلمتين .

ـ بلا شك يا سيدي .

ـ فنهض اوستاش وقال بصوت رقيق :

ـ هل اغادر الغرفة ايها المفتش ؟..

ـ فقال لورانس :

ـ سنستأنف الدراسة بعد قليل يا اوستاش .

فانصرف الفتى وهو يمشي ببطء . ويعرج في مشيته .

قال تافرنر :

ـ لقد اثبتت التحاليل حقيقـة هامـة يا مستر براون .. هي ان مستر ليونيدس مات بمادة الايزيرين ..

ـ اذن فقد مات مسموما حقا ؟.. كنت ارجو ان ...

ـ نعم .. لقد استبدل احدهم بالايزيرين مادة الانسولين التي كان يحقن بها .

ـ لا استطيع ان اتصور ذلك !! هذا امر لا يمكن تصوره .

ـ السؤال الذي اريد ان ألقيه عليك هو : من صاحب المصلحة في قتل مستر ليونيدس ؟..

ـ لا احد .. لا احد اطلاقا ..

ـ بهذه المناسبة !.. الا تريد ان يشترك محاميك في هذا الحديث؟.

ـ ليس لي محام .. ولا اريد ان يكون لي.. انني لا اخفي شيئا .

ـ هل تعلم اننا سنسجل اقوالك ؟..

ـ انني بريء •• اقسم لك أنني بريء •
ـ انا لم اقل شيئا يوحي بعكس ذلك •
وصمت تافرنر قليلا ثم قال :
ـ كانت مسز ليونيدس اصغر كثيرا من زوجها•• اليس كذلك ؟••
ـ اظن ذلك •• اعني •• نعم ••
ـ لا بد انها كانت تشعر بالوحدة في بعض الاحيان •
فمر لورانس بلسانه على شفتيـه الجافتين ولم يجب •• واستطرد تافرنر قائلا :
ـ لا شك انه كان من بواعث ارتياحهـا ان تجد على مقربة منهـا شابا في مثل سنها ؟••
ـ أبدا •• أعني •• لست أعلم ••
ـ اما انا فيخيل الي انه من الطبيعي جدا ان تتوثق اواصر الصداقة بينكما •
فقال لورانس محتجا بقوة :
ـ انا اعرف جيدا ما يدور بخلدك •• ولكنك مخطىء • ان مسز ليونيدس تعطف علي وانا لا اكن لها الا الاحترام • ولم اشعر نحوها قط بأية عاطفة اخرى •• وهذا الذي تلمح اليه فظيع للغاية •• ولست اتصور انني استطيع ان اقتل احدا بالسم او بسواه •• ان عقيدتي الدينية تمنعني من ان اقتل • وهذا هو السبب في انني لم انخرط في سلك الجنديـة •• وبدلا من حمل السلاح عملت وقادا بالمستشفيات ، كنت اشعل المدافىء والسخانات وهو عمل مضن لم أقو على مواصلته فسمحت لي السلطات بالاشتغـال بالتـدريس • وانا هنا ابذل قصارى جهـدي مع اوستاش وجوزيفين •• الاخيرة تلميذة ذكية جدا ولكنها متعبة •• والجميع في هذا البيت يعاملونني بكل رفـق •• وهأنتذا تأتي الآن وتتهمني بارتكـاب جريمة قتل !!••

فانبسطت اسارير تافرنر قليلا وقال :

ـ أنا لم اتهمك •

ـ ولكنك تظن ذلك •• الجميـــع هنا يظنـــون ذلك •• انني أقرأ في عينيك •• ولكني لست في حالة تساعدني على الكلام •• انني اشعر بوعكة ••

وأسرع الى خارج الغرفة •• فتحول تافرنر الي ببطء وقال :

ـ ما هي انطباعاتك ؟••

ـ انه في أشد حالات الخوف •

ـ اعلم ذلك •• ولكن هل هو القاتل ؟• •

فقال لام :

ـ اذا اردت رأيي فانه ليس قاتـــلا •• ولا يمكن ان تؤاتيه القدرة على القتل •

ـ ذلك رأيي ايضا •• فهو لا يستطيع ان يقتل •• بل ولا يستطيع ان يصوب مسدسا •• ولكن الجريمة التي نحن بصددها لا تكلف القاتل جهدا •• بحسبه ان يستبدل قنينة بأخرى لكي يساعد عجوزا متهدما على الخروج من هذه الدنيا بأقل قدر من الالم •

فقال لام :

ـ كنوع من القتل بدافع الشفقة •

ـ وبعد فترة انتظار معقولة •• يقترن بالارملة الشابة التي تملك نحو مائة الف جنيه وترث مبلغا مماثلا •• عدا ما لديها من مجوهرات •

وصمت تافرنر قليلا ثم قال :

ـ كل هذا مجرد ظن •• لقد تعمـــدت ان القي الذعر في قلبـــه ، ويبدو انني نجحت •• ولكن ذلك لا يثبت شيئا •• فالانسان يمكن ان يخاف وهو بريء •• والواقع [illegible] ارتاب فيه بقدر ما ارتاب في المرأة••

ولكني ما زلت اتساءل .. لماذا لم تتخلص من القنينـة .. او على الاقل لماذا لم تغسلها لازالة كل اثر للايزيرين بها ؟..

ثم التفت الى لام وسأله :

ــ ألم يلاحظ الخدم وجود صلة بين سيدتهم ولورانس ؟.

ــ قالت لي الوصيفة انها واثقة من وجود عاطفة متبادلة بينهما .

ــ ما الذي جعلها تعتقد ذلك ؟..

ــ نظراته الى السيدة وهي تقدم له أقداح القهوة .

ــ وهل هذا دليل يقدم للمحكمة ؟.. الا يوجد شيء آخر ؟..

ــ لو كانت بينهما صلة لما غاب عن الخدم ملاحظتها .. انني اكاد اقتنع بأن هذه الصلة لا وجود لها .

ثم التفت الي وقال :

ــ اذهب اليها الآن واستدرجها الى الحـديث فانني اود ان اعرف انطباعاتك عنها .

فخرجت وانا اشعر بقليل من الحماسة وكثير من الفضول .

– ٩ –

وجدت بريندا ليونيدس جالسة حيث كانت حين تركتها •• سألتني حالما وقع بصرها علي :

ــ اين المفتش ؟•• الن يعود ؟••

ــ ليس الآن •

ــ من انت ؟••

هذا هو السؤال الذي كنت اتوقعه منذ الصباح وقد كان جوابي اقرب ما يكون الى الحقيقة ••

ــ انني اعمل مع البوليس ولكنني صديق للاسرة •

ــ الاسرة ؟•• اولئك الوحوش ؟•• انني أمقتهم جميعا ••

ونظرت الي ، وشفتاها ترتجفان واستطردت قائلة :

ــ لماذا كان ينبغي الا اتزوج أباهم ؟• ولماذا ضايقهم هذا الزواج ؟• انهم جميعا أثرياء الى أبعد حدود الثراء من المال الذي اخذوه من أبيهم والذي ما كانوا يستطيعون ان [illegible] بكدهم وعرق جبينهم !!•• ثم ألم

يكن من حقه ان يتزوج رغم تقدمه في السن ؟•• على انه لم يكن عجوزا بحال •• ان العجز انواع •• وقد كنت احبه ••

ونظرت الي في تحد واستطردت قائلة :

ــ نعم •• كنت احبه•• ولعلك لا تصدق ذلك، ولكنها الحقيقة•• كان هناك رجال كثيرون استطيع ان اختار من بينهم زوجا لي •• ولكني كنت اريد بيتا •• وشخصا يدللني ويقول لي كلاما لطيفا ••• وقد قال لي ارستيد هذا الكلام ••• وعرف كيف يسليني ويضحكني •••

كلا •• ان موته لم يسرني •• انني جد حزينة ••

واعتدلت في جلستها وارتسمت على ركن فمها ابتسامة غريبة وقالت :

ــ لقد كنت سعيدة هنا •• كنت اشعر بالطمأنينة والامان ، واذهب الى اشهر صانعي الثياب•• وكان ارستيد يقدم لي اجمل الهدايا وأثمنها••

ونظرت الى الخواتم التي تزين يديها وقالت :

ــ اي ذنب جنيت ؟•• كنت لطيفة معه وقد اسعدته ••• هل تدري كيف عرفته ؟••

ولم تنتظر اجابتي ومضت تقول :

ــ كنت اعمل في احد المطاعم ، فجاء وطلب بيضا مسلوقا ، وعندما أحضرت له ما طلب •• كانت الدموع في عيني فقال لي « اجلسي •• وحدثيني ما خطبك •• » فأجبته : « مستحيل •• لو فعلت ذلك لطردوني •• » فقال : « سوف يدهشني ان يطردوك •• لانني صاحب هذا المطعم » •

فنظرت اليه ، ووجدته قزما عجوزا لا يساوي شيئا •• ولكني اكتشفت فيما بعد انه صاحب سلطة ليست لسواه •• وباختصار •• رويت له قصتي •• ومن المحتمل انك تعرفها • اذ لا شك انهم حدثوك عني ••

وقالوا لك انني مخلوقة تافهة •• ولكنهم كاذبـون •• فانني على جانب كبير من الثقافـة وكان ابي يملك متجرا كبيرا •• ولم يحدث قط انني تسكعت مع الفتيان ولكن (تيري) كان يختلف عن غيره من الشبـاب • كان من اصل ايرلندي ، وقد سافر مع الجيش الى مكان بعيد ولم يكتب الي وانقطعت انباؤه • ومن تحصيل الحاصل ان اقول لك انني كنت قد تورطت معه •• واصبحت في مركز اية فتاة تخلى عنها عشيقها •

سمع ارستيد قصتي •• وكان رائعـا • قال لي ان كل شيء يمكن اصلاحه •• وانه يشعر بوحدة شديدة ، واننا سنتزوج دون انتظـار •• ولم أصدق أذني •• وخيل الي انني أحلم ، وعلمت على الاثر انه مستر ليونيدس المشهـور الذي يملك كثيرا من المطـاعم والملاهي والانديـة الليليـة •••

وبعد فترة وجيزة تزوجنا في احدى الكنائس الصغيرة ، ورحلنا الى اوروبا لقضاء شهر العسل •

ـ والطفل ؟••

ـ لم يكن هناك طفل •• كنت مخطئة •

وابتسمت واستطردت قائلة :

اقسمت ان اكون له خير زوجـة •• وبررت بقسمي •• قدمت له الطعام الذي يريده •• وارتديت الثيـاب التي تعجبـه • وفعلت كل ما يمكنني لاسعاده •• وكان سعيدا فعلا ، ولكننا لم نستطـع قط التخلص من افراد أسرته •• اولئك الامعات التوافه الذين يعيشون على حسابه•• اليك مثلا تلك العجـوز مس دي هافيلاند •• اما كان يجب عليهـا ان ترحل ؟•• قلت ذلك لارستيد فأجاب « انها تقيم هنا منذ وقت طويل •• وتعتبر هذا البيت بيتها » •

والحقيقة انه كان يريدهم جميعا حوله وتحت رحمته •

وقد عاملوني بقسوة .. ولكنه كان يتظاهر بأنه لا يلاحظ شيئا ..
كان روجر يكرهني بدافع الغيرة والحسد ، وكان فيليب يشمخ علي بأنفه صلفا وغرورا .. وهم جميعا يريدون الآن ان يلصقوا بي تهمة قتل زوجي .. فهل تصدقني اذا قلت لك انها تهمة كاذبة ؟.. قل انك تصدقني ... اضرع اليك .

★ ★ ★

كان في صوتها وفي نظرتها الي شيء جعلني اشعر نحوها بالشفقة والعطف .. حتى كدت ان ادين السلوك اللاانساني لتلك الاسرة التي تحاول ان تلصق جريمة القتل بهذه المرأة المسكينة التي لا حول لها ولا قوة :

قالت :

ـ في اعتقادهم انني اذا لم اكن قتلت ، فالقاتل هو لورانس .

ـ حدثيني عنه قليلا .

ـ كنت دائما أرثي له ، فهو معتل الصحة ، ولم يشترك في الحرب، ليس لانه جبان ، وانما لانه شديد الحساسية . وقد بذلت قصارى جهدي لكي اجعله يشعر بالسعادة هنا .. انه يشرف على تثقيف تلميذين فظيعين .. اوستاش .. الذي لا يدع فرصة تمر دون ان يسخر منه ويحاول اذلاله .. وجوزيفين هل رأيتها ؟..

ـ كلا ..

ـ انها تذكرني بالحية .. وهي غريبة الاطوار .. حتى لاشعر احيانا بالخوف منها .

ولكن جوزيفين لم تكن تهمني .. فعدت الى الحديث عن لورانس وسألتها :

ـ من هو ؟•• ومن اين جاء ؟••
ـ انه لا شيء •• مثلي •• فماذا نستطيع ضدهم •• خاصة وان المفتش في صفهم ••
ـ لا ينبغي ان تنظري الى الامور على هذا النحو •
ـ لماذا لا يكون القاتل واحدا منهم ؟•• او شخصا من الخارج ؟• او احد الخدم ؟••
ـ يجب ان نفكر في الدافع الى الجريمة •
ـ الدافع ؟•• وما هو الدافع بالنسبة الي •• او الى لورانس ؟••
فقلت بشيء من الحرج :
ـ يمكن ان يقال ان بينكما صلة عاطفية وانك تأملين الاقتران به يوما ما •
فقالت بحدة :
ـ كيف يجرأون على مثل هذا التفكير ؟•• لم يحدث قط ان دار بيني وبينه حديث يدعوهم الى هذا الظن •• كنت لطيفة معه لانني كنت أتألم له •• نحن صديقان ولا شيء غير ذلك ، هل تصدقني ؟••
صدقتها •• وصدقت انهما كانا مجرد صديقين كما قالت ، ولكنني شعرت في قرارة نفسي بأنها مولعة به ••• ربما دون ان تدري •

★ ★ ★

وبهذه الفكرة في ذهني ، انطلقت لمقابلة صوفيا •• وكنت في طريقي الى قاعة الاستقبال حين رأيتها تطل من احد الابواب •
قالت لي :
ـ انني اساعد (ناني) في اعداد الطعام •
فهممت بمرافقتها الى المطبخ ، ولكنها امسكت بيدي وقادتني الى قاعة الاستقبال ، ولم يكن بها احد •

سألتني :

ــ هل قابلت بريندا ؟•• ما رأيك فيها ؟••

ــ بصراحة •• انا أرثي لها •

فنظرت الي باحتقار وقالت :

ــ أرى انها طوتك تحت جناحها •

ــ الواقع انني فهمت وجهة نظرها ••

ــ ماذا تعني ؟••

ــ أجيبيني بصراحة يا صوفيا •• هل حدث يوما منذ جاءت بريندا الى هذا البيت ان احتضنتها الاسرة او عاملتها برفق على الاقل ؟••

ــ كلا •• لم يحــدث •• ولكن لماذا كان يجب ان نترفق بها ؟•• يبدو من كلامك يا تشارلس ان بريندا اقنعتك بتمثيلها ••

ــ الحق انني لا اعرف ماذا دهاك يا صوفيا ••

ــ دهاني انني صريحة وأقول كل ما يدور بخلــدي •• قلت انك فهمت وجهة نظر بريندا •• حسنا •• دعني اوضح لك وجهــة نظري •• انا لا احب الفتيات اللائي يخترعن القصص لاثارة شفقة العجائز بهــدف الاقتران بهم •• ان لي كل الحــق في ان أمقت المغامرات اللائي من هذا الطراز •• ولست أرى سببا يدعوني الى التظاهر بحبهن •

ــ هل تعتقدين انها كذبت على جدك ؟••

ــ بشأن الطفل ؟•• ربما ••

ــ ألا تغفرين لها انها استولت على جدك ؟••

فانفجرت ضاحكة وقالت :

ــ اؤكد لك انها لم تستول عليــه •• لا احد استطاع ان يستولي عليه •• لقد أراد بريندا •• وظفر بها •• كان يعرف جيدا ما هو فاعل••

فسارت الامور وفقا لخطته •• وكان الزواج من وجهة نظره عملية ناجحة مثل جميع عملياته •

ـ وهل كان من عملياتـــه الناجحة اختيار لورانس براون مدرسا للاولاد ؟••

ولاحظت صوفيا ما في سؤالي من سخرية فقطبت ما بين حاجبيهـــا وقالت :

ـ ولِمَ لا •• لعله أراد أن تكون بريندا سعيدة والا تشعر بالملل، ولعله قال لنفسه ان الثيـــاب والمجوهرات لا تكفي لاسعادها ويجب ان يكون في حياتها شيء من الرومانسية التي لا خطر منها • ومن المحتمل ان يكون قد رأى ان رجـــلا خجولا من طراز لورانس براون هو الشخص المطلوب كطرف في علاقة مع بريندا تجمع بين الصداقة والحب ، وتمنـــع بريندا من التورط في مغامرات فعلية مع آخرين في الخارج •••

لقد كان جدي بارعا في مثل هذه التدابير • طبيعي انه لم يكن يتوقع ان ينتهي هذا التدبير بجريمة ••

وصمتت قليلا ثم قالت :

ـ ان معرفتي ببراعة جدي تجعلنـــي اكاد أرتاب في ان بريندا هي التي قتلته ، اذ لو انها دبرت لارتكاب الجريمة بنفسها او بالاشتراك مع لورانس ، لعلم جدي بذلك •

ـ وهذا يعيدنا الى نقطة البداية ••

ـ لندع الحديث في هذا الموضوع يا تشارلس •• سأذهب الآن لاعداد الطعام •

ـ ألا تريدين ان اساعدك ؟••

ـ بل ابق هنا •• ان (ناني) تجن اذا رأت رجلا في المطبخ •

قالت ذلك وغادرت الغرفة ، فتهالكت على احد المقاعد .. وانصرفت الى التفكير .

★ ★ ★

لقد عرفت وجهة نظر بريندا .. وعرفت كذلك وجهة نظر صوفيا .. التي هي ايضا وجهة نظر الاسرة كلها ، وخلصت مما سمعت ان آل ليونيدس لا يغفرون للاجنبي الذي يندس بينهم بوسائل يعتقدون انها ملتوية ..

ولكن للموضوع ناحية انسانية يصرون جميعا على تجاهلها ..

ذلك انهم كانوا طوال حياتهم في رغد من العيش . فهم لا يفهمون معنى الطموح عند الذين لم يملكوا في حياتهم شيئا ..

وقد أرادت بريندا ان تظفر بكل ما حرمت منه : المال ، والترف ؛ والامان والبيت .. وكان لها ما أرادت .. في مقابل ما بذلته لاسعاد زوجها العجوز ..

لقد شعرت بالعطف عليها حين سمعت قصتها .. فهل يجب الآن ان استرد هذا العطف وانكره عليها ؟..

انها مشكلة معقدة ذات وجهين .. فأيهما أصح ؟..

★ ★ ★

وكنت قد قضيت ليلة مسهدة واستيقظت مبكرا في الصباح لارافق تافرنر .. وكان جو قاعة الاستقبال دافئا معطرا ، والمقعد الذي اجلس فيه وثيرا .. فأغمضت عيني وما لبثت ان استغرقت في نوم عميق .

- ١٠ -

استيقظت من نومي في هدوء حتى كدت ان لا اصدق انني نمت ، ورأيت فوق رأسي بقعة بيضاء خيل الي انها لشبح في الفضاء وانقضت بضع ثوان قبل ان استجمع حواسي . وأدرك ان هذه البقعة البيضاء لم تكن الا وجها مستديرا لفتاة صغيرة نحيلة لها شعر كستنائي معقود خلف رأسها وعينان سوداوان جاحظتان .

قالت الفتاة وهي تنظر الي بحدة :

ــ طاب يومك ..

فغمغمت :

ــ طاب يومك .

قالت :

ــ انا ادعى جوزيفين .

وكنت توقعت حالما رأيتها انها جوزيفين .. شقيقة صوفيا . كانت في نحو الحادية عشرة او الثانية عشرة من عمرها ، دميمة

جدا ، وتشبه جدها شبها عظيمـــا • وخيل الي انها ربما قد ورثت ذكاءه ايضا •

قالت :

ــ انت صديق صوفيا •• الست كذلك ؟••

فصمت ، ولم أجب •

قالت :

ــ ولكنك جئت مع المفتش تافرنر •• لماذا ؟••

ــ انه احد اصدقائي •

ــ احقا ؟•• انه لا يعجبني ••• ولذلك لن اقول له شيئا •

ــ وماذا كان بودك ان تقولي له ؟••

ــ انني اعرف اشياء كثيرة • •

وجلست على طرف احد المقاعد واستمرت تتفرس في وجهي بالحاح حتى بدأت اشعر بالضيق •

قالت :

ــ ان جدي قتل •• هل تعلم ذلك ؟••

ــ نعـــم •

ــ مات مسموما بمادة الايزيرين •

ونطقت بكلمة (ايزيرين) ببطء ووضوح ثم استطردت قائلة :

ــ انها مسألة مثيرة •• فما قولك ؟••

ــ اعتقد ذلك •

ــ انها اثارتني •• انا واوستاش • فنحن نحب القصص البوليسية• وطالما تمنيت ان اصبح بوليسا سريا • وها قد تحققت أمنيتي •• انا الآن أبحث عن أدلة •

كان كل شيء فيها يثير النفور •

قالت :

ـ ذلك الرجل الذي جـاء مع المفتش تافرنر •• هل هو ايضا من رجال الشرطة ؟•• يقولـون في القصص البوليسية ان الشرطي اذا ارتدى الملابس المدنية فيمكن معرفته من حذائه الضخـم •• ولكن حذاء هذا الرجل من النوع اللامع الجميل •

ـ كل شيء يمكـن ان يتغير يا جوزيفين •• حتى اساليب رجـال البوليس •

فقالت بلهجة جدية :

ـ نعم •• كل شيء يمكن ان يتغير •• وسوف يحـدث تغيير هنا ايضا • اذ يحتمل ان نذهب للاقامة في لندن • كانت امي تتمنى ذلك منذ وقت طويل • اما ابي فتستوي عنده الاقامة في اي مكان طالما ان كتبه على مقربة منه •• وفيما مضى لم يكن في استطاعتنا الانتقال الى لندن ، لان ابي خسر مبالغ طائلة في جيزابيل •

ـ جيزابيل ؟••

ـ نعم •• هل شهدتها ؟••

ـ هل هي مسرحية ؟•• كلا •• لم اشهدهـا ، لانـني لم اكن في انجلترا •

ـ انها لم تمثل طويلا •• ويمكن ان يقال انها سقطت • وفي اعتقادي ان امي لا تصلح لدور (جيزابيل) ، فما رأيك انت ؟••

وكنت قد رأيت ماجدا في غلالة رقيقـة ، ثم رأيتهـا مرة اخرى في تايير انيق •• ولم اجد في المرتين ما يذكرني بجيزابيل •• ولكني رأيت من الحكمة ان اجيب جوزيفين بأنني لا استطيع ان ابدي رأيا في هذا الموضوع فقالت :

ـ كان من رأي جدي دائما ان المسرحية لن تحقق ربحا ، وقال انه

لا يمكن ان يجازف بتمويل دراما دينيـــة لان الجمهور لا يقبل على هذا النوع من المسرحيات •• ولكن امي كانت مفتونة بدورهـــا •• على ان المسرحية لم تعجبني ، لانها قدمت جيزابيل في صورة امرأة شريرة . خلافا لما ورد في الكتاب المقدس •• ولكن النهاية لم تكن رديئة •• فقد القـــوا بجيزابيل من النافـــذة •• ومما يدعـــو للاسف انه لم تكن هناك كلاب تلتهمهـــا ، وقد قالت امي انه لم يكن في استطاعتهم تقديم الكلاب على خشبة المسرح •• ولكنني اعتقد انه كان بوسعهم استخدام كلاب مدربة••

ثم راحت تردد ما جاء في الكتاب المقدس في هذا الصدد :

« والتهمت الكلاب جسدها كله فيما عدا راحة يدها •• » •

لماذا لم تلتهم الكلاب راحة يدها ؟••

ـ الحق انني لا اعلم •

ـ لا بد انها كانت كلابـــا ذات ذوق خاص •• ان كلابنا تأكل كل شيء •

وراحت تفكر في هذا السر ، فقلت لكي اواصل الحديث معها :

ـ يؤسفني ان المسرحية سقطت •

ـ كانت امي تقرأ ما كتبه النقاد عن المسرحية فتبكي او تثور غضبا. وبلغ غضبها ذات صبـــاح انها قذفت بصحفة الطعـــام في وجه وصيفتهـــا جلاديس •• وقد ضحكت يومئذ حتى دمعت عيناي •

ـ يخيل الي انك تحبين المواقف الدرامية •

ـ هل تعرف انهم قاموا بتشريح جثة جدي لمعرفة سبب وفاته ؟•

ـ نعم •• هل حزنت لوفاته يا جوزيفين ؟•

ـ كلا •• لم اكن احبه كثيرا •• فهو الذي منعني من تعلم رقصات الباليه •

ـ هل كنت تريدين تعلم الرقص ؟••

ـ نعم •• وقد وافقت امي •• ووافق ابي ايضا ولكن جدي قال انني لن اصلح لشيء •

وهزت كتفيها ، وقالت لتغير مجرى الحديث ؟••

ـ هل يعجبك بيتنا ؟••

ـ لست واثقا من ذلك •

ـ من المحتمل ان يباع •• الا اذا اصرت بريندا على البقاء فيه •• ومن المحتمل جدا كذلك ان يعدل العم روجر والعمـــة كليمنسي الآن عن الرحلة التي كانا يعتزمان القيام بها •

ـ هل كانا يعتزمان القيام برحلة ؟••

ـ نعم ، كانا يعتزمان السفر بالطائرة يوم الثلاثاء الى مكان ما في اوروبا •• بل وقد ابتاعت العمـــة كليمنسي فعلا حقيبة صغيرة جميلة من تلك الحقائب الخفيفة التي تستخدم للسفر بالطائرات •

ـ انني لم اسمع اي حديث عن هذه الرحلة •

ـ لا احد يعلم بأمرها •• كان مقررا ان تظل سرا لا يذاع الا بعد رحيلهما •• وكان في نيتهما ان يكتبا بشأنها رسالة لجدي •

ـ ولكن لماذا سيعدلان عن الرحلة ؟•• هل تعرفين السبب ؟••

فنظرت الي بخبث وقالت :

ـ اظن انني اعرف •• انا لست على يقين ولكني يخيل الي ان العم روجر ارتكب بعض الاختلاسات •

ـ لماذا تقولين ذلك ؟••

فاقتربت مني وقالت في همس :

ـ في يوم وفاة جدي ، ذهب اليه العم روجر في غرفته ومكث معه وقتا طويلا تحدثا خلاله كثيرا ، واتهم العم روجر نفسه بالضعف والغباء ، وقال انه لا يستحق الثقة التي وضعها فيه جدي •

فنظرت اليها بشيء من القلق وقلت لها :
ـ ألم يقل لك احد يا جوزيفين ان الانصات وراء الابواب لا يتفق مع الخلق الكريم ؟..

فابتسمت واجابت :
ـ طبعا .. ولكن كيف يعرف الانسان حقائق الامور اذا لم يسترق السمع وراء الابواب ؟.. سل المفتش تافرنر يجبك بأنه لا يجد غضاضة في ذلك .

ولم تدع لي فرصة للكلام واستطردت قائلة :
ـ واذا لم يكن تافرنر يسترق السمع بنفسه ، فان زميله ذا الحذاء اللامع يفعل ذلك .. كلاهما يبحثـان في كل مكان .. يفتحان الادراج ويقرآن الرسائل بحيث يعرفان اسرار الجميع .. ولكنهما ليسا من الذكاء بحيث يعرفان اين يجب ان يبحثا .. انا واوستاش نعرف اشياء كثيرة .. وانا اعرف اكثر ولكنني لا اطلعه على معلوماتـي ، لانه يزعم ان النساء لا يصلحن لاعمـال البوليس السري .. وانا اعتقـد غير ذلك ، ولسوف اسجل معلوماتي في دفتر اقدمه لرجال البوليس بعد ان يعترفوا بعجزهم واقول لهم : انني اعرف المجرم .

ـ هل تقرأين الكثير من القصص البوليسية يا جوزيفين ؟
ـ أقرأ المئات ..
ـ وتظنين انك تعرفين من قتل جدك ؟..
ـ لدي فكرة لم تنضج بعد ، اذ لا ازال افتقر الى الادلة .
وصمتت قليلا ثم قالت :

ـ يعتقـد المفتش تافرنر ان بريندا سممت جـدي بالاتفـاق مع لورانس .. اليس كذلك ؟.. انه احتمال وجيـه خاصة اذا وضعنـا في الاعتبار ان بريندا ولورانس يتبادلان الحب ..

ـ لا يجب ان تقولي مثل هذا الكلام يا جوزيفين •
ـ ولِمَ لا ؟•• اليست هذه هي الحقيقة ؟••
ـ لا احد يعلم •
ـ ولكنهما يتبادلان الرسائل الغرامية •
ـ كيف علمت ؟••

ـ انا اعلم لانني قرأتها •• ووجدتها تفيض بالعبارات العاطفية •• وذلك لا يستغرب من شخص مثل لورانس•• انه جبان الى حد انه خاف من الاشتراك في الحرب ، وعندما كانت الصواريخ تسرق فوق البيت ، كان يرتجف فزعا ويصفر لونه فأغرق انا واوستاش في الضحك •

★ ★ ★

وكان من الممكن ان يستمر حديثنا اكثر من ذلك لولا ان سمعنا في هذه اللحظة صوت وقوف سيارة بباب البيت فأسرعت جوزيفين الى النافذة وأطلت منها فسألتها :

ـ من القادم ؟••

ـ مستر جيتسكيل •• محامي جدي •• واظن انه جاء من اجل الوصية •

وبدا عليها الانفعال ، واسرعت الى قاعة الاستقبال ، ربما لتواصل تحرياتها •

وجاءت ماجدا على الاثر ولشد ما كانت دهشتي حين رأيتها تقبل علي وتتناول يدي بين يديها وتهتف قائلة :

ـ حمدا لله على انك ما زلت هنا !!•• فما احوجنا الى رجل في هذا البيت !!•

وتركت يدي ، وجلست على مقعد ، ونظرت الى وجهها في احدى

المرايا ، ثم راحت تنقر بأناملها على حافة المائدة •
واطلت صوفيا برأسها من الباب وقالت :
ــ جاء مستر جيتسكيل •
فقالت ماجدا :
ــ اعلم ذلك •
وعادت صوفيا بعد قليل برفقة رجل قصير القامة فنهضت ماجدا لاستقباله •

قال جيتسكيل :
ــ طاب يومك يا سيدتي •• لقد جئت لمقابلة زوجك اذ يبدو ان هناك سوء تفاهم بشأن الوصية • فقد فهمت من رسالة بعث بها الي انه يعتقد ان الوصية عندي ، ولكني اظن مما سمعته من مستر ارستيد ليونيدس نفسه ان الوصية في خزانته •• فهل تعلمين اين هي ؟••
ففتحت ماجدا عينيها في دهشة وقالت :
ــ انا ؟•• كلا طبعا !!•• لا تقل لي ان تلك المرأة البغيضة قد أعدمتها •

فرفع المحامي سبابته محذرا وقال :
ــ كلا يا سيدتي •• كلا •• لماذا تلقين الاتهامات جزافا ؟•• كل ما في الامر اننا نريد ان نعرف اين احتفظ مستر ليونيدس بوصيته •
ــ انه ارسلها اليك •• انا متأكدة •• لقد قال لنا ذلك بنفسه •
فلم يكلف جيتسكيل نفسه عناء تكذيبها وقال :
ــ لقد فحص رجال البوليس اوراق مستر ليونيدس • سأتحدث في الامر الى المفتش •
وانصرف فصاحت ماجدا :
ــ انها اعدمت الوصية •• لا شك عندي في ذلك •

فقالت صوفيا :
ـ كلا يا اماه •• انها لا تقدم على مثل هذه الحماقة •
ـ حماقة ؟•• الا تعلمين انه في حال عدم وجود وصية فان التركة كلها تؤول اليها ؟••
ـ صه •• هوذا جيتسكيل •
ودخل المحامي برفقة المفتش •• ودخل فيليب في اثرهما •
قال المحامي :
ـ لقد فهمت مما صرح لي به مستر ليونيدس انه اودع الوصيـة في البنك •
فهز تافرنر رأسه واجاب :
ـ انني اتصلت تليفونيا بالبنك وقيـل لي ان مستر ليونيدس لم يودع به سوى بعض الاسهم والسندات وليست هناك اية اوراق خاصة•
ـ ربما كان روجر او الخالـة اديث يعلمان شيئـا •• هل لك ان تستدعيهما يا صوفيا ؟••
وجاء روجر واكد ان اباه ارسل الوصية الى المحامي بالبريد غـداة يوم توقيعها •
فقال المحامي :
ـ اذا لم تكن الذاكرة قد خانتني ، فانني ارسلت مشروع الوصية الى مستر ليونيدس يوم ٢٤ نوفمبر الماضي فوافق عليه •• وبعد بضعـة ايام قدمت اليه الوصية لتوقيعها •• ولما لم يردها الي ، اتصلت به بعد نحو اسبوع لاسأله عما اذا كان يريد ان يدخل عليها بعض التعديلات ولكنـه أجاب بأنه وافق على كل ما جاء بها ووقّع عليها بامضائه وأودعها خزانـة البنك الذي يتعامل معه •
فقال روجر :

ـ كل هذا صحيح •• فقد حدثَ في نهاية نوفمبر الماضي ان دعانا ابي للاجتماع به ذات مساء وتلا علينا وصيته •

فالتفت تافرنر الى فيليب وسأله :

ـ هل حدث ذلك يا مستر ليونيدس ؟••

ـ نعـــم •••

ـ وماذا كان مضمون الوصية يا مستر جيتسكيل ؟••

فقال روجر دون ان يدع فرصة للمحامي :

ـ كان مضمونها بسيطا وواضحـا •• كانت شقيقتـاي اليكترا وجويس قد توفيتا فعـاد الى ابي كل ما وهبه لهمـا فلم يبق من الورثة سواي انا وفيليب فأوصى ابي بمبلـغ خمسين الف جنيه خالية الضرائب للخالة أديث وبمبلغ مائة الف جنيه لبرينـدا التي اوصى لها كذلك بهذا البيت وقسّم الباقي الى ثلاثة اقسام متساوية ، احدها لي والثاني لفيليب والثالث يوزع بالتساوي بين اولاد فيليب الثلاثة ، صوفيا ، وجوزيفين ، واوستاش ، على ان ينال الاخيران نصيبهما متى بلغا سن الرشد •• اظن انني لم اخطىء يا مستر جيتسكيل ؟••

فأجاب المحامي :

ـ الواقع ان هذا هو ملخص الوصية التي كتبتها وفقا لتعليمـات مستر ليونيدس •

فقال روجر :

ـ لقد تلاها ابي علينا ، وطلب اليـنا ان نبدي ملاحظاتنا عليها •• ولكن لم تكن ثمة ملاحظات •

فقالت مس دي هافيلاند مستدركة :

ـ بل كانت هناك تعليقات بريندا •

فقالت ماجدا بسرور واضح :

ـ نعم •• لقد قالت انها لا تطيق سماع الحديث عن موت عزيزها ارستيد •• وانها لا تريد جنيها واحدا من امواله اذا مات •

فقالت دي هافيلاند باحتقار :

ـ كان تعليقا مبتذلا لا ينم عن البيئة التي نشأت فيها •

لم يكن ثمة شك في انها تمقت بريندا كل المقت •

فسأل تافرنر :

ـ وماذا حدث بعد قراءة الوصية ؟••

فقال روجر :

ـ وقّع ابي على الوصية •

ـ متى وكيف ؟••

فنظر روجر الى زوجته مستنجدا •• فقالت كليمنسي :

ـ هل تريد ان تعرف كل التفصيلات عن توقيع الوصية ؟••

ـ نعم •• اذا تفضلت ••

ـ وضع مستر ارستيد الوصية امامه على المكتب وطلب الى احدنا ـ واعتقد انه روجر ـ ان يدعو خادمه الخاص جونسون ، ولما جاء جونسون طلب اليه مستر ارستيد ان يأتي بالوصيفة جانيت وولمر •• وجاءت الوصيفة ، وحينئذ وقّع مستر ارستيد الوصية وطلب الى الخادم والوصيفة ان يوقّعا تحت امضائه بصفتهما شاهدين ••

فقال جيتسكيل :

ـ هذا اجراء قانوني لا غبار عليه •

فقال تافرنر :

ـ وبعد ذلك ؟••

ـ وبعد ذلك شكرهما وطوى الوصية ووضعها في غلاف وقال انه سيبعث بها الى مستر جيتسكيل في اليوم التالي ••

فأجال تافرنر بصره بين الحاضرين وسأل :
ـ هل تم توقيع الوصية على هذا النحو ؟..
فأومأ الجميع برؤوسهم علامة الايجاب ، فقال محدثا كليمنسي :
منه وقتئذ ؟..
ـ قلت انه وضع الوصية امامه على المكتب .. هل كنت على مقربة
ـ كنت منه على بعد ثلاثة او اربعة امتار ..
ـ حينما قرأ مسيو ليونيدس الوصيـة .. هل كان جالسا امـام مكتبه ؟..
ـ نعـم ..
ـ وبعد ان قرأ الوصيـة ، هل نهض وابتعـد عن المكتب قبل ان يوقّع عليها ؟..
ـ كـلا ..
ـ هل كان بوسع الخادمين قراءة الوصية وهما يوقعان عليها ؟..
ـ كلا .. فقد وضع مستر ارستيد على السطور المكتوبة قطعـة ورق بيضاء .
فقال فيليب :
ـ فعل ذلك لسبب .. هو ان مضمون الوصية لا يعنيهما ..
فأخرج المفتش من جيبـه غلافا مستطيلا قدمه الى المحامـي وهو يقول :
ـ الق نظرة على ما في هذا الغلاف وانبئني بما تراه .
فأخرج المحامي من الغلاف ورقـة بسطها والقى عليها نظرة سريعـة وارتسمت على وجهه دلائل الدهشة .. وهتف :
ـ هذا عجيب .. هل لي ان اسألك اين وجدت هذه الورقة ؟..
ـ في خزانة مستر ليونيدس .. وبين أوراقه ..

فسأله روجر :

ــ ماذا في هذه الورقة ؟••

فأجاب المحامي :

ــ انها الوصية التي ارسلتها الى ابيك لتوقيعها •• ومن عجب انه لم يوقّع عليها •• رغم ما قررتموه جميعا ••

فقال المفتش :

ــ لعلها صورة من الوصية ••

ــ ان الصورة عندي في مكتبي ••

فصاح روجر :

ــ ولكن هذا مستحيل ••

فسأله تافرنر :

ــ هل كان ابوك قوي البصر ؟••

ــ انه يستعمل العوينات في القراءة والكتابة ••

ــ هل استعملها في ذلك المساء ؟••

ــ نعم ، ثم خلعها بعد التوقيع ••

فقالت كليمنسي مؤكدة :

ــ نعم •• ذلك ما حدث تماما •

ــ هل انتم جميعا على يقين من ان احدا لم يقترب من المكتب قبل توقيع الوصية ؟•

فقالت صوفيا :

ــ لم يقتــرب احد من المكتب ، ولم يبرح جــدي مكانه لحظــة واحــدة •••

ــ هل كان المكتب في مكانه الحالي ؟•• ألم يكن قريبا من احــد الابواب او احدى النوافذ ؟••

ـ كلا •• كان في مكانه حيث رأيته ••

فقال تافرنر :

ـ ليس ثمـة شك في ان مستر ليونيدس قد وقّع بامضائـه على الوصيـة التي قرأها عليكم • وما أريد معرفتـه الآن هو كيف استبدلت الوصية التي تحمل توقيعه وتوقيعي الشاهدين •• بهذه الوصية الخالية من التوقيعات ••

فقال روجر :

ـ الا يحتمل ان يكون بعضهم قد عمل على ازالة التوقيعات ؟

ـ ان عملية الازالـة لا بد ان تترك أثرا •• ومن المرجح ان هذه الورقة ليست الوصية التي أرسلها مستر جيتسكيل الى مستر ارستيـد ليونيدس والتي تلاها هذا الاخير عليكم ••

فصاح المحامي :

ـ هذا مستحيل •• أقسم انها نفس الوصية الاصلية ، ان في أعلى الورقة الى اليسار صورة صغيرة لطائرة •• وها هي الصورة ••

فقالت مس دي هافيلاند :

ـ المهم •• هو ان نعرف موقفنا الآن ••

فقال جيتسكيل :

ـ ان هذه الوصية تجب سائر الوصايا التي كتبها ارستيد ليونيدس من قبل •• ويوجد اكثر من شاهـد على انها تتضمن رغباتـه •• وانها الوثيقة التي اعتقد انه وقّع عليها ••

فرغباته اذن معروفة •• ولكننا نجـد انفسنا الآن حيال مشكلـه قانونية في غاية الدقة ••

فنظر تافرنر الى ساعته وقال :

ـ اخشى ان اعوقكم عن الطعام ••

فقال فيليب :

ــ لماذا لا تتناول الغذاء معنا ايها المفتش ؟••

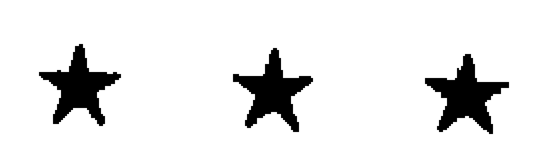
ــ شكرا لك يا سيدي •• ولكني على موعد مع الدكتور جراي••

ــ وانت يا مستر جيتسكيل •• الا تتناول الطعام معنا ؟••

ــ بكل سرور يا فيليب ••

ونهض الجميع فهمست في اذن صوفيا بأنني اوثر الرحيل ، فقالت لي ان ذلك افضل ••

وهكذا غادرت الغرفة مهرولا لألحق بالمفتش تافرنر ••



- ١١ -

دخلــت مكتب ابي في (اسكتلنديارد) حينمــا كان المفتش تافرنر يعرض عليه نتيجة ابحاثه ..

كان يقول وعلى وجهه دلائل الامتعاض :

ــ وها انت ترى انني سبرت اغوارهم ، وعرفت ما في سرائرهم.. وماذا كانت النتيجــة ؟.. لا شيء .. لم اهتد الى القاتــل .. ولا الى الدافع الى الجريمة .. وكل ما عرفتــه عن المرأة وعشيقها .. انها كانت تحدجه بنظرات والهة وهي تقدم له اقداح القهوة ..

فقلت له :

ــ يبدو انني اعرف ما هو اهم من ذلك يا تافرنر .

ــ حقا ؟.. حدثني اذن بما تعرف ..

فجلست واشعلت لفافة تبغ وافرغت ما في جعبتي ..

وقلت :

ــ كان روجر وزوجته يتأهبان للسفر الى الخــارج يوم الثلاثــاء

القادم •• وقد شجر خلاف شديد بين روجر وابيه في يوم وفاة هذا الاخير على اثر اكتشاف الاب بعض الاخطاء الخطيرة في الشركة التي يديرها الابن وقد اعترف الابن بذنبه •

فهتف تافرنر وقد احمر وجهه :

ـ من اين علمت بكل هذا بحق الشيطان ؟• اذا كنت قد استجوبت الخدم فان •••

ـ انني لم اتصل بالخدم •• وهذه المعلومات قد استقيتها من بوليس سري خاص ••

ـ ماذا تقول ؟••

ـ يبدو ـ كما في القصص ـ ان البوليس السري الخاص تفوق على رجال البوليس الرسميين •• وانه فيما اعتقد يعرف اكثر مما ذكره لي •••

ففتح تافرنر فمه ليتكلم ولكنه لم ينطق بحرف ••

كانت هناك اسئلة كثيرة تتحير على شفتيه ولا يعلم بأيها يبدأ •••

واخيرا قال :

ـ اذن روجر هو ضالتنا ؟••

ـ فحدثته بكل ما ذكرته لي جوزيفين •• واعترف بأنني فعلت ذلك على كره مني •• فقد كنت اعطف على روجر ولا اود ان اطلق رجال الشرطة في اثره ••

ولكني كنت اعلم انه لو صح ما قالته جوزيفين •• فان التحقيق لا بد ان يأخذ اتجاها آخر • اذ سيجد البوليس في اختلاس روجر لاموال الشركة المتحدة للمواد الغذائية وفي اكتشاف الاب هذا الاختلاس تفسيرا للجريمة خاصة وان روجر كان ينوي مغادرة انجلترا قبل ان تظهر الحقيقة •••

قال ابي :

ـ يجب اولا ان نعرف حقيقة مركز الشركة ..

فقال تافرنر :

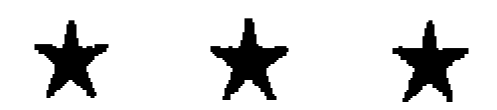
ـ اذا كانت الشركة تواجـه متاعب ماليـة .. فان ذلك ينهـي الموضوع .. وتكون الجريمة قد حدثت على النحو التالي : دعا العجوز ابنه روجر ووجّه اليه الاتهـام ، فانهار الابن واعترف ، وكانت بريـنـدا وقتئذ في السينما فخرج روجر من غرفة ابيه وذهب الى الحمام ، وافرغ احدى زجاجات الانسولين وملأها بمادة الايزيرين .. وربما يكون قد طلب الى زوجته ان تفعل ذلك فانها روت لنا انها ذهبت الى شقة العجوز بدعوى البحث عن غليون نسيه زوجها هناك .. انها امرأة قوية الارادة ، رابطة الجأش ومن الممكن جدا ان ترتكب هذه الجريمة ..

فأطرقت برأسي موافقا واستطرد تافرنر قائلا :

ـ والرأي عندي انها اقدر من زوجها على القيام بهذا الدور .. ثم ان روجر ليس الرجل الذي يفكر في الايزيرين كوسيلة لارتكاب الجريمة .. فالسم كان دائما لعبة المرأة .

فقال ابي :

ـ انني لا استبعـد ان تكون فعلت ذلك في محاولـة يائسة لانقاذ زوجها ...



وفي اليوم التالي دعاني ابي الى مكتبه وهناك وجدت المفتش تافرنر ووجهه يتهلل بشرا ...

وابتدرني ابي بقوله :

ـ ان الشركة المتحدة للمواد الغذائية تواجه متاعب مالية خطيرة .

واضاف تافرنر :

ـ وقد يعلن افلاسها بين لحظة واخرى ..

فقلت :

ـ الواقع انني قرأت ضمن انباء الدوائر الماليـة ، ان سعر اسهم الشركة هبط امس هبوطا شديدا ..

فقال تافرنر :

ـ اننا قمنا بتحرياتنا بحذر شديد حتى لا نثير فزع حملة الاسهم ، او انتباه روجر ليونيدس ، فعلمنا ان مركز الشركة سيء الى اقصى حد ، وانها تدهورت باطراد خلال السنوات الاخيرة بسبب سوء الادارة ..

ـ سوء ادارة روجر ليونيدس ؟..

ـ طبعا .. انه رئيس مجلس الادارة ..

ـ وهل اختلس شيئا من اموال الشركة ؟..

ـ كلا .. نحن لا نعتقد انه اختلس مـالا .. انه قد يكون قاتلا ولكنه ليس محتالا .. ولعل أبرز صفاته انه مغفل لا يحسن الحكم على الامور او الاشخاص.. كان يعمل على التوسع حيث يجب الانكماش.. وبالعكس .. وقد وضع ثقته فيمن لا يستحقها ، ومنح سلطـات واسعة لاشخاص لا يحسنون استخدامها .. صفوة القول انه كان يفعل دائما ما لا يجب ان يفعله ..

كانت الشركة عندما تسلم ادارتها منجما للذهب ، ولكنه اضاعهـا بغبائه وعجزه .. وقد علمت انه احتفظ بعدد كبير من الموظفين الذين لا يصلحون للعمـل .. لمجرد انه يعطف عليهـم شخصيا او لانهم قضوا في الشركة مدة طويلة .. كما علمت انه بدد اموالا طائلة في مشروعات غير مثمرة ..

ـ وهل اقدم على عمل يضعه تحت طائلة القانون ؟..

ــ كــلا ••
ــ اذن لماذا ارتكب جريمة القتل ؟••
ــ لانه لم يكن هناك ما ينقذ الشركــة من الافلاس الا ان يحصل قبل يوم الاربعاء القادم على مبلغ كبير من المال ••
ــ كالمبلغ الذي سيرثه ؟••
ــ تماما ••
ــ ولكنه لن يحصل على نصيبه من الميراث فورا ••
ــ انه كان بحاجة الى الثقة والضمان •• فاذا اذيع انه سيرث فان ذلك يكفي ••
فقال ابي :
ــ الم يكن أيسر عليه ان يذهب الى ابيه ليطلب معونته ؟••
فقال تافرنر :

ــ أعتقد انه ذهب الى ابيه لهذا الغرض •• وان الحديث الذي دار بينهما هو ذلك الحديث الذي سمعته جوزيفين ومن المرجح ان العجــوز رفض •• ولعله وجد ان لا فائــدة من محاولة استرداد الخسائر •• كان رجلا حصيفا يضن بماله ان يضيع سدى ••

وهنا تذكرت ما قالته جوزيفين عن رفض العجوز تمويل مسرحيــة ماجدا •• لانه قدر لها السقوط ، واثبتت الايام سلامة تقديره ••

لقد كان العجوز كريما مع اولاده وذويه •• ولكنه كان احرص من ان يبدد امواله في مشروعات مقضي عليها بالفشل ••

ويبدو ان الشركة المتحدة للمواد الغذائية كانت بحاجة الى مئــات الالوف من الجنيهــات لكي تقف على قدميها •• ولكن العجــوز رفض تقديم هذا المبلغ فلم يجد روجر وسيلة لتجنب الافلاس الا ان يقتل اباه••

هذا اذن هو (الدافع) الذي كنا نبحث عنه ••

ونظر ابي الى ساعته وقال :

ـ لقد دعوته للحضور •• وسيصل بين لحظة واخرى ••

ـ من ؟؟ روجر ؟••

ـ نعـم •••

وتذكرت اسطورة العنكبوت الذي دعا الذبابة لدخول غرفته ••

كان كل شيء معدا لاقتناص الفريسة •• فأبي يتحرق شوقا للقـاء المتهم وفي أحد الاركان ضابط على استعداد لتسجيل كل ما يقال ••

واخيرا جاء روجر ••

قال والكلمات تقتتل في فمه كالعادة ••

ـ هل طلبتم مقابلتي ؟•• هل وجدتم أدلة جديدة ؟•• آه •• معذرة يا تشارلس •• الحق انني لم أرك •• شكرا لك على حضورك •• ولكن حدثني يا سير آرثر ••

ولكن ابي كان يجلس جلسة رسميـة •• وقد بادره بالعبـارات التقليدية التي توجه عادة الى كل متهـم •• من انه سيحاسب على كل كلمة ينطـق بها •• وعن حقـه في الامتناع عن الاجابـة الى ان يحضر محاميه ••

وهز روجر كتفيه ببساطة ، وقال انه يعرف الاجراءات البوليسية•• وانه ليس بحاجة الى محام ••

فقال ابي :

ـ لقد دعوتـك يا مستر ليونيدس •• لا لأنهي اليك معلومـات جديـدة •• وانما لاطلب اليك الادلاء بما لديـك من معلومات حبستها عنـا ••

فبهت روجر وقال :

ـ ولكني أنبأتكم بكل شيء ••

ـ لا اظن ذلك •• هل قابلت اباك بعد ظهر اليوم الذي توفي فيه ؟•
ـ نعم ، تناولت الشاي معه ، وقد قلت لكم ذلك ••
ـ صحيح انك قلت ذلك •• ولكنــك لم تذكر شيئا عن الحديث الذي دار بينك وبينه ••
ـ كان حديثا عاديا ••
ـ عن اي شيء ؟••
ـ عن احداث اليوم •• وعن المنزل •• وصوفيا ••
ـ ألم تتحدثا عن الشركة المتحدة ؟••
وكنت حتى تلك اللحظــة ارجو ان يكون ما سمعتــه من جوزيفين مجرد اوهام من صنع خيالها ، ولكن هذا الرجاء تبدد حالما رأيت اضطراب روجر وشحوب وجهه ••
تهالك على احد المقاعد وغمغم وهو يدفن وجهه بين كفيه ••
ـ يا الهي !!••
وابتسم تافرنر كمن يريد ان يقول : وقع الفأر في المصيدة !!!
قال ابي :
ـ اتعترف يا مستر ليونيدس بأنك لم تكن صريحا معنا ؟••
ـ ولكن كيف علمتم ؟•• كنت اظن ان لا احد يعلم ••
فقال له ابي : ان البوليس يعرف عمله • واستطرد قائلا :
ـ الا ترى الآن يا مستر ليونيدس ان من مصلحتك ان تصارحنـا بالحقيقة ؟••
ـ طبعا سأصارحك بكل شيء •• فماذا تريد ان تعرف ؟••
ـ هل صحيح ان الشركة المتحدة على شفا الافلاس ؟••
ـ نعم •• لا مناص من افلاس الشركة •• ليت ابي فقط قد مات دون ان يعلم ذلك •• انني اشعر بالخجل والعار ••

ــ هل سيؤدي افلاس الشركة الى اجراءات جنائية ..

فاعتدل روجر في جلسته ورفع رأسه بكبرياء واجاب :

ــ كلا .. طبعا .. سنتوقف عن العمل ولكن بشرف وسيحصل الدائنون على اموالهم كاملة .. حتى لو صفيت كل ممتلكاتي .. كلا .. ان ما يخجلني هو انني لم اكن جديرا بالثقة التي شرفني بها ابي .. انه وضعني على رأس اقوى شركاته وأعزها عليه .. ولم يتدخل قط في اعمالي ولم يسألني عما افعل .. كانت ثقته بي كاملة ولكني لم اكن جديرا بها ..

فسأله ابي بجفاء :

ــ اذا لم تكن هناك اجراءات قانونية تخشاها .. فلماذا فكرت في الفرار مع زوجتك الى الخارج دون ان تخطر احدا ؟..

ــ هل تعلم ذلك ايضا ؟

ــ نعم يا مستر ليونيدس ..

ــ انت اذن لا تعرف موقفي .. كان مستحيلا علي ان اقابل ابي واصارحه بالحقيقة .. ولو قد فعلت لظن انني اطلب مساعدته .. ولسارع الى مساعدتي .. دون تردد لانه كان يحبني .. ولكني لم اكن اريد ذلك .. لم اكن اريد للشركة ان تستمر .. لانني خشيت ان اتعثر مرة اخرى .. انني لست كفؤا لادارة شركة ضخمة كهذه .. كنت اعلم منذ البداية انني لست في ذكاء ابي .. ولكني بذلت قصارى جهدي وفشلت..

لا احد يعلم كم شقيت لانقذ الشركة على أمل الا يعلم الرجل الطيب الكريم بحقيقة الموقف ، ولكن جهودي ذهبت سدى ، وجاءت اللحظة التي ادركت فيها ان لا مناص من الافلاس .. فبحثت الموقف مع زوجتي .. وقررنا في النهاية الا نصارح احدا بالحقيقة ، وان نرحل قبل ان تهب العاصفة .. وكان في نيتي ان اترك رسالة لابي اوضح له فيها كل شيء ..

واضرع اليه ان يصفـح عني •• وقدرت ان تصلـه الرسالة حين تكون الشركة قد انهارت وفات اوان انقاذها ••

وقد صحت عزيمتي على ان اشق طريقي في الحياة من جديد في اي بلد آخر •• وانا اعلم ان الحياة لن تكون سهلة بالنسبة الي •• او بالنسبة الى كليمنسي •• التي ستضحـي بالكثير •• ولكنها لم تحجـم عن اية تضحية •• انها امرأة عظيمة •• ورائعة ••

فقال ابي بنفس اللهجة الجافة :

ـ لماذا عدلت اذن ؟••

ـ عدلت ؟••

ـ نعم •• لماذا ذهبت الى ابيك في النهاية لتطلب معونته ؟••

فحملق روجر في دهشة وقال :

ـ انا لم اطالبه بأية معونة ••

ـ انني اريد الحقيقة يا مستر ليونيدس ••

ـ هذه هي الحقيقـة ، انا لم اذهب اليـه •• هو الذي ارسل في طلبي•• ويبدو انه عرف الحقيقة بطريقة ما •• فواجهني بها•• واضطررت ان اعتـرف له بكل شيء •• وقلت له ان خسارة المال لا تعـدل عنـدي احساسي بأنني لم اكن اهلا لثقته ••

وازدرد روجر لعابه ومضى في حديثه ، قال :

ـ لم يؤنبني ، وكان رفيقـا غاية الرقة ، فصارحته بأنني لا اريد مساعدته وانني مصمم على مغادرة البـلاد . ولكنه أبى ان ينصت الي وصمم على ضرورة انقاذ الشركة ••

فقال ابي بلهجة صارمة :

ـ هل تريدنا على ان نصدق ان اباك كان يعتزم معاونتك ماليا ؟••

ـ نعم ، انه كتب على الفور رسالة الى البنك ضمنها تعليماته لهذا الغرض ••

فنظر اليه ابي بارتياب ، فقال روجر وقد احمر وجهه خجلا :
ــ ان هذه الرسالة لا تزال معي •• كان ينبغي ان ارسلها بالبريد ولكنني نسيت في غمرة الاضطراب الذي اعقب موت ابي •• اظن انهــا معي ••
وبحث في محفظته ووجد الرسالة وقدمها الى ابي وهو يقول :
ــ اقرأها بنفسك ما دمت لم تصدقني ••
ففض ابي الرسالة ، وأطل تافرنر من فوق كتفه ••
وقرأها معه •• وكانت تتضمن ــ كما علمت فيما بعد ــ امــرا الى البنك ببيع عدد من الاسهم والسندات ، وارسال مندوب في صباح اليوم التالي ليتلقى من ارستيد ليونيدس تعليمات خاصة بالشركة المتحدة للمواد الغذائية ••

★ ★ ★

اذن لم يكذب روجر •• حين قــال ان اباه كان مصمما على انقــاذ الشركة ••

★ ★ ★

قال تافرنر :
ــ سنحتفظ بهذه الرسالة يا مستر ليونيدس ، وسنعطيك ايصالا بها ••
فقال روجر وهو ينهض :
ــ هل لديكما اسئلة اخرى ؟•• هل اقتنعتما ؟••
فقال تافرنر وهو يقدم اليه الايصال ••
ــ ماذا فعلت بعد ان اخذت الرسالة ووضعتهــا في جيبك يا مستر ليونيدس ؟••

ـ ذهبت الى شقتي وكانت زوجتي قد عادت فأنبأتها كم كان ابي عظيما ورائعا .. وغلبني التأثر والانفعال فلم ادر ماذا افعل ..

ـ عندما ذهبت لمقابلة ابيك .. هل عرجت على الحمام المتصل بغرفته ؟..

ـ لا اظن .. كلا .. انا واثق من انني لم ادخل الحمام .. هل تظن انني الذي ...

فلم يدعه ابي يعبّر عن استنكاره ، ونهض بسرعة ، وتناول يديه وهو يقول :

ـ شكرا لك يا مستر ليونيدس .. انك زودتنا بمعلومات على جانب عظيم من الاهمية كان من الخطأ ان تكتمها طوال هذه المدة ..

★ ★ ★

وانصرف روجر ، فتناولت رسالة ارستيد ليونيدس . وكانت لا تزال على مكتب ابي ، وقرأتها ..

فقال تافرنر وهو لا يزال يتعلق بأذيال الامل :

ـ الا يحتمل ان تكون الرسالة مزورة ..

فقال ابي :

ـ لا اظن ذلك .. واعتقد اننا يجب ان نفهم الموقف على النحو التالي : كان العجوز يستعد لانقاذ ابنه من الافلاس ، وكان اقدر على ذلك من ابنه بعد ان يرث .. ونحن نعلم الآن انه لا توجد وصية ، وان حق روجر في الميراث مشكوك فيه .. ومعنى هذا ان الشركة لا بد ان تفلس ومعناه ايضا ان روجر وزوجته لم تكن لهما اية مصلحة في وفاة العجوز .. بل على العكس ..

وكف عن الكلام فجأة .. كما لو كان قد خطر له خاطر جديد ..

وبعد لحظة ، قال ببطء :

ـ اذا كان ارستيد ليونيدس قد عاش ولو يوما آخر لنجا روجر من الافلاس •• ولكنه لم يعش •• ومات بعد ساعة او نحو ساعة ••
فقال تافرنر :
ـ هل تعني ان في البيت من يهمه افلاس روجر ؟••
فصمت ابي قليلا ثم قال :
ـ او من يهمه ان تبقى ثروة العجوز كما هي ، فلا يبدد جانبا منها لتعويم شركة لا امل فيها ••
وبهذه المناسبة •• من يرث العجوز في حالة اختفاء الوصية ؟••
ـ بريندا ليونيدس ••
ـ اذن لا شك ان لها ضلعا في الجريمة ••

★ ★ ★

وقبل ان ابرح المكتب قال لي ابي :
ـ ان خير ما تفعله يا بني ، هو ان تحاول كسب ثقة هؤلاء الناس، وقد كانت صوفيا على حق حين قالت لك ان من مصلحتكما ان تظهر الحقيقة ••

ثم استطرد قائلا وانا اهم بالانصراف :
ـ شيء آخر اريد ان اقوله لك ••
اسهر على الصغيرة •• فانني اخشى ان يصيبها سوء ••
ـ تعني جوزيفين ؟••
ـ نعم ، ان في ذلك البيت قاتلا لا يفتقر الى الدهاء ومضاء العزيمة، وجوزيفين فيما يبدو تعلم اشياء كثيرة ••
ـ مما لا شك فيه انها كانت تعلم كل شيء عن روجر ، امر واحد أخطأت فيه •• هو ان روجر لم يكن نصابا •• اما باقي معلوماتها فكانت صحيحة ••

ـ انا شخصيا اعـول دائما على كلام الصغار ولا اهمله •• وخير وسيلة لاستدراجهم الى الكلام ان لا توجه اليهم اسئلة مباشرة •• دعهم يتكلمون على هواهم ، ولا تسألهم عن موضوع بذاته •• ومن الواضح ان جوزيفين تريد ان تفضي اليك بأمور لا علم لك بها •• ومهمتك في هذه الحالة هي ان تعيرها اذنا صاغية وتشجعها على الكلام •• والرأي عندي ان تتحدى ذكاءها فتقـول لها مثلا انها لا تعرف شيئا •• وسوف تكون النتيجة انها تبذل قصارى جهدها لتثبت العكس ••

المهم هو ان تسهر على سلامتها •• فقد يكون هناك من يعتقد انها تعرف اكثر مما ينبغي ••

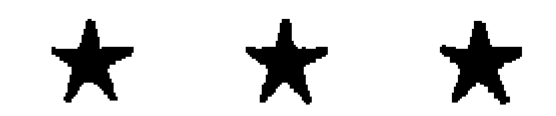
- ١٢ -

غادرت مكتب ابي وانا اشعر بالقلق ووخز الضمير ..

صحيح انني نقلت الى تافرنر كل ما قالتـــه جوزيفين عن روجر .. ولكني لم اذكر كلمة واحدة عن الرسائل الغرامية التي زعمت الصغيرة ان بريندا ولورانس يتبادلانها ..

وحاولت ان اجد لنفسي عذرا فقلت ان حكاية الرسائل قد لا تكون صحيحة .. واذا صحت فقد لا تكون ذات اهمية .. ولكن الحقيقة التي لا شك فيها ، هي انني كنت انفر من اتهام بريندا ، واشعر بالعطف عليها.. لمجرد انها وحيدة في بيت يمقتهـــا كل اهله .. واذا كانت هناك رسائـــل غرامية فمن المحقق ان تافرنر واتباعـــه سيعثرون عليها عاجلا او آجلا .. فليس ثمة اذن ما يدعوني الى تنبيههم ..

يضاف الى ذلك ان بريـنـــدا اكدت لي انها ليست هنـــاك اية صلة عاطفية بينها وبين لورانس ، وانا اميل الى تصديقها اكثر مما اصدق تلك الشيطانة الصغيرة جوزيفين ..



واتصلت تليفونيا بصوفيا لأسألها عما اذا كانت تسمح لي بزيارتها فأجابت على الفور :

ـ بكل تأكيد يا تشارلس ..

ـ كيف تسير الامور في البيت ؟..

ـ لا اعلم .. ما زال رجال الشرطة يفتشون .. عمَ يبحثون ؟..

ـ ليست لدي اية فكرة ..

ـ ان وجودهم يشد اعصابنا. فحاول ان تأتي بأسرع ما تستطيع.. لانني سأجن اذا لم اجد من احدثه ..

فاستأجرت احدى سيارات الاجرة وذهبت الى بيتها ووجدت الباب مفتوحا ، فترددت بين ان اقرع الجرس او ان ادخل مباشرة ، وقبل ان اقطع برأي شعرت بحركة خلفي ، فنظرت ، ورأيت جوزيفين ترقبني من بعيد ، ووجهها الصغير يكاد يختفي وراء تفاحة ضخمة تقضمها ..

اقتربت منها وحييتها :

ـ طاب يومك يا جوزيفين !!

ولكنها لم تجب .. وتراجعت الى مقعد خشبي على حافة حوض صغير تسبح فيه الاسماك الملونة .. فلحقت بها ، ورأيتها تنظر الي من فوق التفاحة ببغض واستنكار ..

قلت لها :

ـ هأنذا قد عدت يا جوزيفين ..

ولكنها لم تجب ، وضايقني صمتها ..

قلت :

ـ هل هذه التفاحة ناضجة ؟..

فتنازلت اخيرا واجابت :

ـ انها جافة ..

ـ هذا امر يؤسف له .. انا لا احب التفاح الجاف ..
لماذا لم تردي تحيتي عندما حييتك ..
ـ لانها لا تعني شيئا ..
ـ لماذا ؟..
فابتلعت ما في فمها قبل ان تجيب :
ـ لانك تحدثت الى رجال البوليس .
فدهشت ، ولاحظت هي دهشتي واستطردت قائلة :
ـ نقلت اليهم ما ذكرته لك عن العم روجر ..
ـ ولكنني فعلت ذلك لمصلحة الجميع يا جوزيفين .. ورجال البوليس يعلمون الآن انه لم يقدم على عمل مخالف للقانون ..
فرمقتني باحتقار وقالت :
ـ يا لك من غبي !!..
ـ انا آسف يا جوزيفين ..
ـ ان العم روجر لا يهمني .. واذا كنت ناقمة عليك فلأن ما فعلته يتعارض مع اصول عمل البوليس السري .. الا تعلم انه ليس من الحكمة الافضاء لرجال البوليس بشيء قبل الانتهاء من التحريات ؟..
ـ اكرر لك اسفي يا جوزيفين ..
ـ انني فقدت ثقتي فيك ..
فعبرت لها عن أسفي للمرة الثالثة .. وحينئذ فقط انبسطت أسارير وجهها ، وقضمت قطعة كبيرة من التفاحة ..
قلت :
ـ على كل حال كان رجال البوليس سيعلمون في النهاية .. فهذه امور لا يمكن اخفاؤها طويلا ..
ـ لانه سيفلس ؟..

ـ اعتقد ان ذلك امر لا مناص فيه ..

ـ انهم سيناقشون هذا الموضــوع الليلـة وسيعقدون اجتماعـا يشترك فيه ابي وامي والعم روجر والخالة أديث . وقد عبّرت الخالة عن استعدادها لوضع كل نصيبها من الميراث تحت تصرف روجر .. والعقبة الوحيدة هي انها لم تحصل على نصيبهـا بعد .. اما ابي فانه يقـول ان المشكلة تخص روجر وحـده ولا شأن له بها .. وان من الغباء محاولـة استرداد الخسارة .. بمزيد من الخسائر .. وهذا ايضا هو رأي امي التي تريد ان يحتفظ ابي بنقوده لتمويل مسرحية (اديث تومبسون) .. وبهذه المناسبة هل تعرف قصة اديث تومبسون ؟.. انها كانت متزوجة وكانت تكره زوجها لانها احبت شابا يدعى (بايووترز) .. وانتهـى الامر بأن طعن الشاب زوج عشيقته فقتله ..

ومرة اخرى ، لم يسعني الا الاعجاب بوفرة معلومات هذه الصغيرة. ولكنني اردت استدراجها الى ما هو اهم فقلت لها :

ـ اظن انك قلت يا جوزيفين انك قد وفقت الى معرفة القاتل ..

ـ وماذا في ذلك ؟..

ـ ما اسمه ؟..

فنظرت الي باحتقار وادركت غرضها ..

قلـت :

ـ فهمت .. تريدينني ان انتظر حتى تفرغي من تحرياتك .. ولكنني اعدك بألا اذكر شيئا للمفتش تافرنر ..

ـ انني ما زلت ابحث عن ادلة ..

ـ الرسائل ؟..

ـ الرسائل ؟.. انك لم تحدثيني عنها ..

ـ اية رسائل ؟..

ـ تلك التي تبودلت بين بريندا ولورانس ..

ـ لقد ذكرت لك ما اعرفه عنها ..
ـ انني لا اصدق ان هناك مثل هذه الرسائل ..
فحملقت في وجهي .. وترددت ..
وسمعت في هذه اللحظة صوتا كالذي يحدثه تحطم غصن جاف تحت قدمي انسان ..
قلت لها :
ـ على رسلك يا جوزيفين .. يخيل الي انك لا تعرفين شيئا على وجه اليقين ..
ولكنها لزمت الصمت .. ولم تقع في الفخ ..
ولم يسعني الا التسليم بالهزيمة ..
قلت :
ـ يجب ان اذهب الآن لمقابلة صوفيا .. تعالي معي ..
ـ كلا .. سأبقى هنا ..
ـ كلا .. يجب ان تأتي معي ..
وامسكت بيدها وارغمتها على النهوض .. فدهشت في البداية ، وقاومت .. ولكنها ما لبثت ان استسلمت .. وتبعتني الى البيت صاغرة ..
ولم ادر على الفور .. ماذا حملني على ارغامها على مرافقتي .. ولكني ادركت السبب وانا ادخل البيت . .
كان السبب هو ذلك الغصن الجاف الذي سمعته يتحطم تحت قدمي انسان ربما كان يرقبنا دون ان نراه ...

- ١٣ -

سمعت لغطا في قاعة الاستقبال فوقفت ببابهـا مترددا ثم قررت الا ادخل •• وواصلت السير في دهليز طويل مظلم ينتهي بباب ما كدت اقترب منه حتى فتح وانبعث منه نور قوي ، ورأيت في اطار الباب امرأة متقدمة في السن ، بدينة الجسم ، ترتدي مئزرا ناصع البياض •• فأدركت على الفور انها (ناني) ••

لست اذكر انني قابلتها من قبل • ولكنها رغم ذلك بادرتني بقولها :

ــ الست مستر تشارلس ؟•• ادخل ودعني اقدم لك قدحـا من الشاي ••

★ ★ ★

كان المطبخ فسيحا ، فجلست امام مائدة كبيرة في وسطه ، وقدمت لي ناني قدح شاي وبعض البسكويت •

كنت في الخامسة والثلاثين ولكني احسست معها بأنني ما زلت طفلا في الرابعة من عمره •

قالـــت :

ـ ستسر الآنسة صوفيا متى علمت بقدومك •• لقد بدأت اعصابها تنهـــار ••

ثم اضافت باستياء :

ـ كالجميع ••

فنظرت من فوق كتفي وسألت :

ـ اين جوزيفين ؟•• انها جاءت معي •

فهزت ناني رأسها وقالت :

ـ انها مخلوقة عجيبـــة •• لا هم لها الا استـــراق السمـــع على الابواب •• او كتابة لا ادري ماذا في دفتر صغير تحتفظ به دائمـــا ولا تتركه •

كان ينبغي ان يبعثوا بها الى المدرسة لتلهو مع الاطفال الذين فيمثل سنها •• لقد قلت ذلك لمس أديث فوافقتني ولكن السيد العجوز آثر ان تبقى هنا ••

ـ اظن انه كان يحبها كثيراً ؟••

ـ كان يحبهم جميعاً يا سيدي •

وفتح الباب في هذه اللحظة ودخلت صوفيا وهتفت :

ـ تشارلس !!•• انت هنا ؟•• كم انا سعيدة بقدومك !!••

وحملت ناني بعض الصحاف وذهبت بها الى غرفـــة داخلية واغلقت بابها •• فنهضت الى صوفيا واحتويتها بين ساعدي ،، ولم اتمالك من ان اهتف :

ـ انك ترتجفين ايتها العزيزة •• فماذا حدث ؟••

ـ انني خائفة يا تشارلس •• خائفة ••

ـ اذا كنت تريدين مغادرة هذا البيت •••

فقاطعتني :

ـ كلا يا تشارلس ، يجب اولا ان نعرف الحقيقة ، وسأبقى هنا حتى نعرفها •• انها تجربة مخيفة حقا •• وكلما فكرت في انه يوجد بهذا البيت انسان أراه كل يوم واتحدث اليه •• ولعله يبتسم لي في بعض الاحيان في الوقت الذي يخطط فيه لارتكاب ابشع الجرائم ••

ماذا كان بوسعي ان اقول لها ؟•• وهل تجدي العبارات المألوفة المبتذلة في طمأنة فتاة مثقفة من طراز صوفيا ؟••

قالت بصوت خافت :

ـ ان ما يزعجني اكثر من أي شيء آخر •• هو احتمال ان لا نعرف ابدا من هو هذا الانسان !!••

كان الاحتمال بعيدا ، ولكنه ذكرني بسؤال كان في نيتي ان ألقيه عليها •• قلت لها :

ـ حدثيني يا صوفيا •• من في هذا البيت كان يعلم بموضوع الايزيرين ؟•• او بالتحديد •• من كان يعلم : (اولا) بأن كمية معينة من هذا السم يمكن ان تقتل ؟••

ـ انني ادرك ما ترمي اليه يا تشارلس •• ولكن لا فائدة من ذلك •• لقد كنا جميعا نعرف هذه الامور •

ـ ولكن •••

ـ اصغ الي •• حدث يوما اننا كنا نتناول القهوة مع جدي بعد الطعام •• وكانت عيناه تؤلمانه منذ بعض الوقت ، وقد اعتادت بريندا ان تسكب قطرات من الايزيرين في عينيه كل ليلة •• وهي شغوفة بالاستفسار عن كل شيء ، فسألت عن معنى العبارة المكتوبة على قنينة الايزيرين : (قطرات تستعمل من الظاهر) ، فأوضحنا لها المعنى ، فسألت :

ــ وماذا يحدث للانسان اذا شرب ما في هذه القنينة ؟..
فابتسم جدي واجاب :

ــ اذا حدث ان أخطأت بريندا واعطتني حقنة من الايزيرين بدلا من الانسولين فانني قد اموت .

فهتفت جوزيفين بارتياح :
ــ يا الهي !!..
فقال جدي وهو لا يزال يبتسم :
ــ ولهذا يجب ان نحرص جميعا على الا ندع بريندا تخلط بين الايزيرين والانسولين .. اليس كذلك ؟..

وصمتت صوفيا لحظة ثم قالت :

ــ لقد سمعنا جميعا هذا الحديث .. ولذلك قلت لك ان كل انسان في هذا البيت يعرف كل شيء عن الايزيرين .

فلزمت الصمت ، ولم اجد ما اجيب به ..
كنت ارجو ان اجد في البيت شخصين او ثلاثة اشخاص على الاكثر لهم من الدراية بخصائص الايزيرين ما يساعدهم على استخدامه في ارتكاب جريمة قتل .. ولكن وضح الآن ان العجوز قدم بنفسه للجميع كافة المعلومات التي تساعدهم على الخلاص منه .

ويبدو ان صوفيا ادركت ما يدور بخلدي .. لانها ما لبثت ان هتفت :

ــ هذا مخيف .. اليس كذلك ؟..
ــ لقد خطر لي خاطر .
ــ ما هو ؟..
ــ ان بريندا لم ترتكب الجريمة ، لسبب بسيط هي انها لا تستطيع

الالتجاء الى وسيلة عرفتموها معهــا من حديث العجوز ولا بد انكــم ستذكرونها •

ــ من يدري ؟•• ثم لا تنس انها غبية وحمقاء ••

ــ لا اظن ذلك •• انني كلما فكرت في الامــر ازددت اقتناعــا ببراءتها ••

ــ انك في قــرارة نفسك تتمنى الا تكون هي القاتلــة •• اليس كذلك ؟••

فصمت ، لم يكن في استطاعتي ان اقول لها كلا •• انني اتمنى ان تكون هي القاتلة ••

لماذا لم يكن ذلك في استطاعتي ؟••

هل لانها وحيدة والجميع ضدها ؟••

ربمــا •••

هل لان الانسان مطبوع على التصدي لنصرة الضعيف الاعزل ؟••

ذلك محمتل ••

ولكن الشيء المؤكد هو انني شعرت بارتياح شديد حين رأيت ناني تخرج من الغرفة الخلفية وتقبل نحونا ••

لقد جــاءت في الوقت المناسب ، ولا بد انها لاحظت فتورنا لانها قالت :

ــ دعكما من الحديث عن الجريمــة والمجرمين •• فذلك من شأن رجال البوليس •

فصاحت صوفيا :

ــ الا تدركين يا ناني ان في البيت قاتلا أثيما ؟••

ــ هراء •• انكم تتركون جميع الابواب والنوافذ مفتوحة وكأنكم تدعون اللصوص والقتلة الى التفضل بالدخول •

ـ نحن لا تتحدث عن اللصوص يا نالي •• ان شيئا لم يسرق من البيت ••

ـ لم اقل ان شيئا سرق •• انما اردت ان اقول ، انه من المحتمل ان يكون القاتل شخصا غريبا دخل من احد الابواب المفتوحة •

فنظرت الى صوفيا ونظرت الي وابتسمنا •••

قالت اخيرا :

ـ هلم بنا الى قاعة الاستقبـال يا تشارلس • هناك شبه مؤتمـر عائلي كان مقررا ان يعقد في المساء •• ولكنهم بكروا بعقده •

ـ لا اريد ان ابدو دخيلا او متطفلا يا صوفيا •

ـ ما دمت ستتزوج من الاسرة فيجـب ان تعـرف افرادهـا على حقيقتهم •

ـ وما الغرض من هذا المؤتمر ؟••

ـ بحث موقف روجر •• اظن انك تعرف مركز شركته •• ولكن كان من الجنون ان تتوهم انه قتل اباه •• لقد كان يحبه حب عبادة •

ـ الواقع انني لم اشك فيه •• كانت كل شكوكي تحوم حـول كليمنسي •

ـ وهذا ايضا خطأ •• فان كليمنسي لا يهمهـا ان يفقد روجر كل ثروته •• انها امرأة عجيبة لا تشعر بالسعادة الا عندما ينقصها كل شيء •• تعـال •

وما ان دخلنا قاعة الاستقبال حتى ساد الصمت فجأة وتحولت الينا جميع الانظار •

كانوا جميعا هناك •• فيليب يتربع على مقعد احمر كبير بين نافذتين اشبه بقاض يهم باصدار حكمه ، ووجهه الوسيم جامد كأنه قد من صخر، وروجر يجلس بجوار المدفأة وشعره المشعث ورباط عنقه ينمان عن مدى

اهماله لمظهره ، وكليمنسي وراء زوجها وجسدها النحيل يبدو اشد نحولا في مقعدها الكبير ، وعيناها تنظران بعيدا وكأنها لا تعبأ بشيء مما يدور حولها •• أديث منزوية في مقعد الجد العجوز وهي مرفوعة الرأس مطبقة الشفتين واصابعها تعمل بابرة التريكو بنشاط عجيب •

اما ماجدا واوستاش فكانا يجلسان جنبا الى جنب على احدى الارائك ، وكأنهما لوحة بريشة فنان كبير ، هي بثوبها الانيق الفضفاض وعنقها الجميل اشبه باحدى الاميرات او الدوقات ، وهو بوجهه الفني الوسيم الذي تبدو عليه دلائل السأم المقرون بالاستسلام المهذب ••

ورآني فيليب وقطب ما بين حاجبيه وقال :

ـ صوفيا •• هذا اجتماع عائلي ذو طابع خاص لبحث شؤون الاسرة ••

فهممت بالاعتذار والانسحاب ، ولكن صوفيا اجابت بثبات :

ـ انا وتشارلس نعتزم الزواج ويهمني ان يشترك في هذا الاجتماع ••

فصاح روجر في حماسة :

ـ ولِمَ لا ؟•• قلت لك مرارا وتكرارا يا فيليب ان الامر لم يعد يتطلب الكتمان •• وغدا او بعد غد سيعلم به الناس جميعا ••

وترك مكانه واقترب مني وقال وهو يضع يده على كتفي :

ـ ثم انك سمعت ما دار بيني وبين ابيك ايها الشاب •• ولا بد انك قد عرفت الان كل شيء ••

ومع ذلك فقد احسست بأن وجودي غير مرغوب فيه، وبأنني يجب ان انسحب ، ولكن صوفيا ضغطت يدي •• واصرت على بقائي ••

وواصلت مس دي هافيلاند الحديث الذي انقطع بدخولنا فقالت :

ـ الرأي عندي اننا يجب ان نحترم ارادة ارستيد ونعمل على انقاذ

الشركة •• وفيما يختص بي فانني اضع كل ما املك تحت تصرف روجر••

فصاح روجر في غضب :

ــ كلا يا خالتاه •• كلا ••

وقال فيليب :

ــ وانا اود ان افعل المثل •• ولكن ثمة اعتبارات ••

فقاطعه روجر قائلا :

ــ الا تريد ان تفهم يا عزيزي فيليب انني لا اريد ولن اقبل درهما من احد ؟••

ــ نعم •• انه لن يقبل ••

فقالت ماجدا :

ــ انه على كل سوف يحصل على نصيبه في الميراث ••

فقال اوستاش :

ــ سيكون قد فات الاوان لانقاذ الشركة ••

فصاح روجر :

ــ قلت ان الشركة لا تهمني •• فلندع الامور تجري في طريقها الطبيعي ••

فقال فيليب :

ــ وسمعة الاسرة ؟•• وكرامة الاب •• وكرامتنا !!••

ــ ان الشركة لا تحمل اسم الاسرة••انها شركتي وتحمل اسمي••

وهنا نهضت اديث دي هافيلاند وقالت بحزم :

ــ اظن ان المناقشة طالت اكثر مما ينبغي ••

فنهض فيليب وماجدا ، وغادر اوستاش القاعة وهو يعرج ، وتأبط روجر ساعد فيليب وهو يقول :

ــ لا بد انك جننت يا فيليب حتى تظن انني سأطلب مساعدتك ••

وخرج الاخوان معا وتبعتهما ماجدا وصوفيا التي قالت انها ستذهب لتبعد لي احدى الغرف ، ونظرت اديث هافيلاند نحوي حتى ظننت انهـا تريد ان تتحدث الي ، ولكن يبـدو انها عدلت ، لانها انصرفت على الاثر دون ان تنظر يمنة او يسرة ..

اما كليمنسي فانها وقفت امام النافذة وراحت تنظر الى الحديقة .. فاقتربت منها .. فتحولت الي وقالت :

ـ حمدا لله .. لقد انتهى الاجتماع ..

وصمتت قليلا ثم استطردت قائلة :

ـ هذا الاجتماع العائلـي .. هو الفصل الثاني من المسرحية .. وماجدا هي صاحبة الفكرة .. ولكنه اسفر عن لا شيء .. لان الموضوع كان منتهيا تماما .

كان صوتها ينم عن الارتياح .. لا الحزن .. فدهشت ، ولاحظت هي دهشتي وقالت :

ـ الم تفهم ؟.. لقد ظفرنا اخيرا بحريتنا بعد سنوات طويلة قضاها روجر في بؤس وشقاء .. انه لم يخلق لادارة الاعمال .. فهو يحب الجياد والاشجار والحقول .. وكان ـ كسائر افراد الاسرة ـ يحب اباه حبـا جما .. وهذا هو سر شقاء هذا البيت ..

لم يكن الاب طاغيـة ، ولم يكن يفرض ارادته على احـد .. كان يحب اولاده ويبذل قصارى جهده ليكفل لهم الغنى والاستقلال .. وكان الاولاد يحبونه حب عبادة ..

ـ وهل في ذلك خطأ ؟..

ـ نعـم .. الى حد ما .. عندما يكبر اولادك فانه يحسن بك ان تبتعد عنهم .. وتختفي من حياتهـم .. وترغمهم على نسيانك .. لا ان تدع ما بينك وبينهم من حب يطغى على شخصيتهم ويحكم تصرفاتهم ..

كانت الشركة المتحدة للمواد الغذائية موضع فخر ارستيد ليونيدس •• وكانت تمثل بالنسبة اليه قمة النجـاح •• فنزل عنها لروجر •• اكبر اولاده •• وحاول روجر ان يكون جديرا بالثقة التي وضعها فيه ابوه •• ولكنه كان يشعر بعجزه وقصوره •• وذلك ما جلب له التعاسة طـوال السنين الماضية ••

كان يرى الشركة تتدهور عاما بعد عام ، فيبذل لها مزيدا من الجهد، فلا تزيدها جهوده الا تدهورا • ولما اصبح افلاسا محققا •• تنفس الصعداء •• واحس بالارتياح والخلاص•• وبدأ يفكر في الحياة الجديدة التي سنحياها ••

ــ والى اين كان في نيتكما الرحيل ؟••

ــ الى (باربادوس) •• لقد مات احد اقاربي هناك وترك لي قطعة من الارض •• صحيح انها قطعة صغيرة ولكنها اكثر مما سوف نحتـاج اليه •• سنكد وسنكدح •• ولكننا سنكون سعيدين •

وتنهدت واردفت :

ــ ان ما يحزن روجر هو اعتقـاده بأنني سوف اضيق بالفقر •• وهو اعتقادخاطىء •• نابـع بغير شك من انه نشأ في اسرة تضع المال في المكان الاول من اهتماماتها ، اما انا فقد عشت مع زوجـي الاول في فقر مدقع • وقد اعتبر روجر ذلك منتهى الشجاعة من جانبي ، ولم يدرك انني كنت سعيدة كل السعادة •• بل كنت اكثر سعادة من الآن •• رغم انني لم احب زوجي الاول قط كما احببت روجر ••

واغمضت عينيها ثم فتحتهما ونظرت الي وقالت :

ــ وهذا يعني انني لست المرأة التي ترتكب جريمة قتل من اجـل المال •• لانني احب المال ••

ولم يكن يخامرني شك في صدقها •• كانت من الاشخاص القلائل

في هذه الدنيـا ، الذين لا يحفلون بالمال او بما يوفره المال لاصحابه من متع وسلطان ..

قلـت :

ـ انني مقتنـع تماما بأنه لا ضلع لك او لروجر في الجريمة ، ولا مصلحة لكما في ارتكابها . ولكنني اعتقد انك من الذكاء بحيث لا يمكن الا ان يكون لديك فكرة عمن ارتكبها ..

فرمقتني بنظرة طويلة غريبة وقالت بصوت باهت خلو من الحماسة :

ـ ان التكهن لعبة غير علمية ، كل ما استطيع ان اقوله لك هو ان بريندا ولورانس هما في مقدمة المشتبه فيهم ..

ـ هل ترتابين فيهما ؟..

فهزت كتفيها ، وارهفت اذنيها لحظة ثم خرجت مسرعة في اللحظـة التي دخلت فيها أديث دي هافيلاند وهي تقول :

ـ اريد ان اتحدث اليك ..

فدنوت منها ..

قالـت :

ـ ارجو الا يكون الاجتماع العائلـي قد ترك في نفسك انطباعـا سيئا .. اعني عن فيليب .. انه يبدو جامد العاطفة شديد التحفظ ولكنه في الحقيقة ليس كذلك ..

كان روجر هو الاخ الاكبر ، وكان اثيرا عند ابيه بعض الشيء لهذا الاعتبار ، واظن ان فيليب احسن بذلك فانطوى على نفسه في الكتب التي تتحدث عن الماضي وتنأى به عن حاضره وعن حياته اليومية ..

وصمتت لحظة ثم قالت :

ـ ويخيل الي انه كان دائما يغار من روجر دون ان يشعر .. ولهذا لم يحزن كثيرا لاخفاقه وفشله في ادارة الشركة .. ولم يسارع الى نجدته كما كان ينبغي عليه ان يفعل ..

- ١٤ -

قالت صوفيا :

ـ ها هي غرفتك ..

كانت غرفة فسيحـــة ، كسائر غرف البيت ذي القباب الثـــلاث .. واثاثها قليل ، ولكنه ثمين .. وليس بها لوحات او تحف ..

وقفت امام النافذة ، ونظرت الى الحديقـــة .. فبدت لي في الغسق موحشة حزينة .. واشجارها التي تجردت من نصف اوراقها تتمايل مع ريح الخريف كأنها اشباح تترنح ..

وفجأة ، فتح باب الغرفة ودخلت ماجدا وهي تقول :

ـ لماذا لا تضيئان النور ايها العزيزان ؟..

لقد هبط الظلام ..

وأضاءت النور واستلقت على احد المقاعد واستطردت قائلة :

ـ هل شهدتما مسرحيتنـــا الصغـــيرة ؟.. كانت اديث رائعة حين تبرعت بنصيبها في الميراث لانقاذ الشركة .. وكانت مخلصة ايضا .. كانت

حركة غبية خشيت ان يتأثر بها فيليب فيفعل المثل ..
الواقع ان اديث لا تضن بأية تضحيـــة من اجل الاسرة ، وان حب عانس عجوز لاولاد اختها على هذا النحو لامر يدعــو الى التأثر .. كم اود ان العب يوما دورا كهذا.. دور خالةعجوز يفيض قلبها حبا وحنانا..
فقلــت :
ــ لا بد انها عاشت اياما تعيسة عقب موت اختها .. خاصة وانها كانت تكره زوج اختها ولا تطيقه ..
ــ من قال لك هذا الكلام ؟ .. انها كانت مولعة بحبه ..
فصاحت صوفيا :
ــ امــاه !!..
ــ لا تحاولي معارضتي يا صوفيــا .. اتظنين ان الحب وقف فقط على الشباب الذين يتناجون في ضوء القمر ؟..
فقلــت :
ــ ولكن اديث هي التي قالت لي بنفسها انها كانت تمقته ..
ــ ربما كان ذلك في البداية .. ولكنها احبته فيما بعد ولم ترض عن زواجه الثاني ..
فقالت صوفيا :
ــ وانت وابي لم ترضيا ايضا عن زواجه الثاني .
ــ طبعا .. كان زواجــا غير متكافىء ولكن اديث كانت اشدنــا غضبا واستياء .. ليتك فقط رأيت نظراتها الى بريندا !!..
ــ كفى يا اماه !!!..
فنظرت ماجدا الى ابنتها في ضراعة نظرة طفل يرجو الصفح والمغفرة .. وقالت دون ان تحفــل بأنهــا قد انتقلت الى موضوع آخر مختلف تمامــا :

ـ انني قررت ان ارسل جوزيفين للاقامـة في احدى المدارس ••
لقد آن لي ان افعل ذلك •••

ـ جوزيفين !!••

ـ نعم •• سأرسلهـا الى سويسرا •• وسأشرع غـدا في اتخـاذ الاجراءات اللازمـة لذلك •• لم يعد من مصلحتها ان تبقى هنا •• حيث لا هم لها الا التفكير في الجريمة والمجرمين ثم انها بحاجة الى زميلات في مثـل سنها •• ان المدرسة الداخليـة هي افضل مكان لها •• ذلك كان رأيي دائما ••

ـ ولكنه لم يكن رأي الجد ••

ـ ان العجائز تطغى عليهم الانانيـة احيانا •• وقد كان العجـوز العزيز يريدنا جميعا تحت بصره •• بينما المكان الطبيعـي للطفل هو ان يكون بين اطفال في مثل سنه •• ثم ان سويسرا بلاد جميلة •• ستتنعـم فيها جوزيفين بالهواء النقي ورياضة الشتاء •• والطعام الجيد•• ولن تجد فيها مجالا للقيام بدور البوليس السري ••

★ ★ ★

لن تجد فيها مجالا للقيام بدور البوليس السري ••

رنت هذه العبارة في اذني ، ولم اتمالك من ان اسأل نفسي : الهذا فقط قررت الام فجأة ان ترسل ابنتها الى سويسرا ؟••

ان جوزيفين تعرف اشياء كثيرة •• حدثت قبل الجريمة وبعدها •• ترى هل لذلك صلة بقرار ابعادها الى سويسرا ؟••

- ١٥ -

في صباح اليوم التالي تناولت طعام الافطار وصعدت الطابق الاول حيث توجد قاعـة الدراسة التي يلتقـي فيها اوستاش واخته باستاذهما لورانس براون كل يوم ..

كان الدهليز الذي سرت فيه خاليا تماما ، ولم اسمع فيه حركة او صوتا . ووجدت نفسي امام قاعة الحمام التي قضى فيها رجال البوليس وقتا طويلا للبحث عن آثار ترشدهم الى اليد التي سكبت مادة الايزيرين في قنينة الانسولين ، ولم اقو على مقاومـة الفضـول الذي استولى علي فدلفت الى الحمام وراعني ما رأيت فيه ..

كان حافلا بأحدث ما تفتـق عنه الذهن البشري من وسائل الترف وكان كل ما يعنيني فيه هو صندوق الادوية والعقاقير الطبية ففتحته فاذا هو صيدلية صغيرة حافلة بمختلف الادويـة وبينها عدد كبير من قنانـي الانسولين بعضها مليء وبعضها فارغ .. ومحتوياته مرتبة ومنظمة بحيث يسهل تناول اي دواء للعلاج .. او القتل ..

لم يرني احد حين دخلت الحمام ، وكان بوسعي ان اسكب محتويات اية قنينة في قنينة اخرى وانصرف دون ان يشعر بي احد ..

لم اقف من هذه الزيارة على جديد ، ولكنها اقنعتني بصعوبة مهمة رجال البوليس في اماطة اللثام عن قاتل ارستيد ليونيدس ..

وواصلت السير في الدهليز المقفر حتى انتهيت الى باب غرفة الدرس كما وصفتها لي صوفيا ..

تريثت امام الباب وارهفت اذني وسمعت صوت لورانس وهو يلقي على تلميذيه درسا في التاريخ .. واكتشفت بعد بضع دقائق انه مدرس ممتاز ، ولم ادهش لذلك فقد كان ارستيد ليونيدس رجلا حصيفا يعرف كيف يختار الرجال ..

كان لورانس من اولئك الاساتذة الذين يعرفون كيف ينشطون خيال تلاميذهم ويثيرون اهتمامهم ..

وبعد ان فرغ من حديثه عن احدى حقبات الثورة الفرنسية وابطالها شرع في القاء الاسئلة على تلميذيه ، فكانت اجابات جوزيفين مضطربة معقدة .. على عكس اخيها اوستاش الذي كان يجيب بوعي وذكاء ..

ثم سمعت حركة مقاعد داخل القاعة ، فهممت بالابتعاد ، ولكن الباب فتح بسرعة وخرجت جوزيفين وتبعها اوستاش فحيتني الاولى ومضت مسرعة بينما توقف اوستاش وبدا كأنه دهش لوجودي في ذلك المكان وسألني بأدب عما اذا كنت اريد شيئا فأجبته ببعض الارتباك بأنني كنت اود ان اتفقد قاعة الدراسة ..

قال :

ـ ظننت انك تعرفها .. انها غرفة عادية ليس فيها ما يثير الاهتمام .. وقد كنت العب فيها وانا طفل وما زال بها بعض اللعب ..

وفتح الباب ، ورأيت لورانس واقفا امام منضدة فما أبصرني حتى احمر وجهه وقال كلمة على سبيل التحية وغادر الغرفة مسرعا ..

فقال اوستاش وهو يبتسم :

ــ انك اخفته .. ان ابسط شيء يرعبه ..

ــ ولكنه استاذ ممتاز ..

ــ لا استطيع ان اقول العكس ..

ــ هل تتلقى نفس الدروس مثل جوزيفين ؟..

ــ كلا طبعا .. انها لا تتعلم اللغة اللاتينية ولا الحساب ..

ــ ولكن يخيل الي انها اذكى من سنها ..

ــ اتظن ذلك ؟.. انني ارى العكس ، انها غبيــة .. وقد اطاحت الروايــات البوليسية بصوابهــا .. فهي تتنصت على الابواب وتكتب ملاحظات في دفتر لها اسود صغير وتزعــم انها اكتشفت اشياء كثيرة .. ولكنها دعية حمقاء وقد قلت لها ان امي ستحسن صنعا حين ترسلها الى سويسرا ..

ــ هل كنت تحب جدك يا اوستاش ؟..

ــ كان رجلا أنانيا وغير اجتماعي .. وقد قال لورانس ان امثاله يجب ان يختفوا ..

ــ وهذا ما فعله ..

ــ وخير ما فعــل .. اية متعــة في الحيــاة يجدها من كان في مثل سنــه ؟..

وفي هذه اللحظة عاد لورانس وراح يرتب بعض الكتب على المنضدة، ولاحظت انه ينظر نحوي خلسة من ركن عينــه واخيرا نظر الى ساعتــه وقال :

ــ اوستاش .. هل لك ان تعود في الساعة الحادية عشرة تماما ؟..

ـ حسنا يا سيدي ..
وانصرف الصبي وهو يصفر بشفتيه ..
واستمـر لورانس في ترتيب الكتب ، وهو يبلل شفتيه بلسانه بين الفينة والفينة ولم يكن لدي شك في انه انسا قد عاد خصيصا للتحـدث اليّ ..
ويبدو انه قرر آخر الامر ان يتكلم ..
قـال :
ـ الى اين وصلوا ؟..
ـ مـن ؟..
ـ رجال البوليس ..
ـ الحق انهم لا يطلعونني على نتائج تحرياتهم ..
ـ كنت اظن ان اباك من كبار رجال البوليس ..
ـ هذا صحيح .. ولكنه لا يكشف لي ما ينبغي كتمانه من اسرار..
ـ اذن انت لا تعلم ما اذا ..
ولم يوفق الى الكلمة المناسبة .. وقال بعد تردد قصير :
ـ هل قرروا القبض على احد ؟..
ـ لا اعلم على وجه التحقيق ..
ـ انك لا تستطيع ان تفهم معنى القلـق وتوتر الاعصاب ، فهـم يجيئون ويذهبون ويلقون اسئلة لا صلة لها بالموضوع .
وصمت مرة اخرى .. وطال صمته .. الى ان قال :
ـ انك كنت موجودا يوم ادلى المفتش بتلك الملاحظة الفظيعة عني انا ومسز ليونيدس .. اليس كذلك ؟.. ماذا كان بوسعي ان اقول ؟.. وكيف السبيل الى انتزاع الافكار القذرة من اذهـان الناس ؟.. وماذا كان في استطاعتي ان افعل لاثبت خطأهم ؟.. وكل ذلك لانها كانت اصغر سنا من زوجها !!! قلبي يحدثني بأن في الامر مؤامرة ..

ـ مؤامرة ؟•• هذا شيء جديد اسمعه لاول مرة ••

ـ انني لم اظفر قط بعطف آل ليونيدس •• كانوا دائما ينظرون الي من عل •• وكنت اشعر بأنهم يحتقرونني •• لا لشيء الا لانهم اغنياء •• وانا لا شيء •• مجرد مدرس حقير •• لقد دبر ليونيدس الامر بحيث تقع الشبهة علي •• انه اراد دماري ••

وهز كتفيه وعاد الى كتبه يرتبها بأصابع مرتجفة ورأيت من الافضل ان انسحب ، فغادرت الغرفة ، وسرت في الدهليز الذي سلكته عند قدومي وفجأة ، فتح باب الى يساري •• ورأيت جوزيفين تظهر بغتة امامي ••

سألتها :

ـ من اين جئت ؟••

فنظرت خلال الباب الذي قدمت منه •• وأومأت الى غرفة كان بها فيما مضى خزان للماء ••

قالت :

ـ كنت في غرفة الخزان ••

ـ وماذا تفعلين هناك ؟••

ـ كنت اقوم ببعض الاعمال البوليسية ••

ونظرت الى يديها وقالت :

ـ يجب ان اغتسل ••

ومضت الى حمام قريب •• وما ان وصلت الى بابه حتى استدارت وقالت تحدثني :

ـ يخيل الي ان جريمة القتل التالية لن تتأخر طويلا ••

ـ اي جريمة قتل ثانية ؟••

ـ في كل قصة بوليسية توجد دائما جريمة ثانية يكون الضحية

فيها شخصا يتعين اسكاته لانه يعرف اشياء لا يجب ان تقال ..

ـ انك تسرفين في قراءة القصص البوليسية يا جوزيفين ولكن الحياة شيء آخـر يختلف تماما عما في القصص .. واذا كان في هذا البيت من يعرف اسرارا .. فانه لن يبوح بها ..

فقالت وهي تهم بدخول الحمام :

ـ يحدث احيانا ان يكون الشخص المطلـوب اسكاته لا يعلم بأنه يعرف اسرارا تهم الآخرين ..

★ ★ ★

وانني افكر فيما قالته هذه الصغيرة الخبيثة .. اذا برينـدا تخرج من قاعة الاستقبال وتقبل نحوي ..

قالت وهي تضع يدها على كتفي بلطف وتنظر في عيني :

ـ هل من جديد ؟..

كان نفس السؤال الذي ألقاه علي لورانس من قبل ولكن بأسلوب آخر ؟..

هززت رأسي سلبا ، فتنهدت وقالت :

ـ ماذا سيحدث في التحقيق الذي سيجري غدا ؟..

ـ لا شيء .. فاطمئني .. سيطلب البوليس ارجـاء التحقيق حتى تتهيأ لهم أدلة جديدة .. ولكني اتوقع ان تتحرك الصحف ، انها اقتصرت حتى الآن على نشر نبأ الوفاة .. ولكن ارجاء التحقيق سيطلق الصحفيين في اعقاب افراد الاسرة ..

ـ هذا مخيف ..

ـ لو كنت مكانك يا برينـدا لامتنعت عن مقابلـة الصحفيين او التحدث اليهم لقد آن لك ان تجـدي من ينصحك ويرشدك الى ما يجب

عمله .. انك بحاجة الى رجل قانون يظهرك على الاجراءات ويرشدك الى ما يجب ان تقوليه او تفعليه ..

انك تقفين وحدك يا بريندا .. فهل تعلمين ذلك ؟..

فضغطت على كتفي وقالت :

ــ نعم يا تشارلس .. انني اعلم .. فشكرا لك ..

★ ★ ★

وهبطت درج السلم وانا اشعر بالرضى عن نفسي ورأيت صوفيا تقف بالباب ..

قالت حالما رأتني :

ــ لقد تحدثوا تليفونيا من لندن يا تشارلس .. ان اباك يرغب في مقابلتك ..

ــ في اسكتلنديارد ؟..

ــ نعم ..

ــ ترى ماذا يريد مني ؟..

- ١٦ -

كان ابي يجلس امام كتبه ، وتافرنر يطل من النــافذة ، وجيتسكيل يذرع ارض الغرفة جيئة وذهابا ، والجو مفعهم بالتوتر ..

قال المحامي :

ـ من كان يتصور انه لا يثق بي الى هذا الحد ؟..

وقال ابي حالما رآني :

ـ اهذا انت يا تشارلس ؟.. ان لدينا انباء جديدة ..

فنظرت الى تافرنر ورأيته يبتسم ..

قال ابي :

ـ سأوضح لك الموقف بايجاز ، فقد تلقى مستر جيتسكيل صباح اليوم رسالة غريبة من رجل يدعى اجروبولو وهو صاحب مطعم معروف باسم مطعم (القوس) ..

ومستر اجروبولو يوناني الاصل كما يدل على ذلك اسمه ويبــدو ان اريستيد ليونيدس اسدى اليه معروفا عظيما في وقت ما ، جعله يشعر

بأنه مدين له مدى الحيـاة •• وكان ليونيدس من ناحيته يثق فيه ثقـة عظيمة ••

وقد قال اجروبولو في رسالته •• ان ليونيدس اودع لديه منذ نحو عام مظروفا مغلقا وطلب اليه ان يرسله الى مستر جيتسكيل عقب وفاته ، وفي حالة وفاة اجروبولو اولا ، يقوم ابنه بهذه المهمة ••

واستطرد اجروبولو في رسالته قائلا انه كان مريضا بالتهاب رئوي فلم يعلم بوفاة ارستيد ليونيدس الا منذ يومين •• ولذلك فانه بادر الى ارسال المظروف المختوم الى مستر جيتسكيل ••

وقد قرأ مستر جيتسكيل رسالة اجروبولو •• وفض الغلاف المرفق بها ، وما كاد يرى محتويات الغلاف المختوم •• وهي عبارة عن رسالـة من ليونيدس مرفقا بها وصيتـه •• وهي وصية قانونية : تحمل توقيـع ليونيدس واثنين من الشهود •• حتى وجد من واجبه ان يتصل بنا وهنا صاح جيتسكيل :

ــ انها غير الوصية التي كتبتها نزولا على رغبة ليونيدس نفسه •• وقد كتبها بخط يده ووضعها في الغلاف وختمه •• وذلك أسوأ ما يفعله رجل اعمال ••

فقال تافوند ليرفه عنه :

ــ لا تنس يا مستر جيتسكيل ان الرجـل كان قد بلـغ من السن عتيا ، وساء تقديره للامور ••

واستطرد ابي قائلا :

ــ وقد اتصل بنا مستر جيتسكيل وأنبأنا بمضمون الوصية فطلبت اليه الحضور لمقابلتنا ••

فسألت :

ــ وهل هناك خلاف بين الوصيتين ؟••

فقال جيتسكيل :

ــ اختلاف كبير ••

وصمت لحظة ثم قال :

ــ اعتقد انك على صلة وثيقة بالانسة ••• بالانسة صوفيا ؟••

ــ انني ارجو الاقتران بها ، ولكنها تأبى الحديث في موضوع الزواج في الوقت الحاضر ••

ــ اذن فاعلم ان مستر ليونيدس قد اوصى لزوجته في الوصية بمبلغ مائة وخمسين الف جنيه •• واوصى بباقي ثروته لحفيدته صوفيا ليونيدس ••

الجمتني الدهشة بضع ثوان ، وهتفت اخيرا :

ــ اوصى بكل ثروته لصوفيا •• هذا عجيب !!•• وهل اوضح اسباب هذا القرار ؟••

ــ قال في رسالته التي ارفقها بالوصية ان صوفيا هي اقدر ذراريه على احتمال مسؤوليات الاسرة التي كانت طوال حياتها بحاجة الى شخصية قوية تسهر عليها وترعى مصالحها • وتناول بالتحليل شخصيات الآخرين فقال ان روجر شديد الاندفاع ولا يمكن الركون اليه في الحكم على الامور وان فيليب يفتقر الى الثقة بالنفس •• بينما اوستاش لا يزال حدثا ومن السهل التأثير عليه •• اما صوفيا فانها ذكية ورزينة وشجاعة ، ولها كل الصفات التي تكفل اسعاد الاسرة واسعاد اديث دي هافيلاند التي لا يسعه الا ان يذكر بالشكر وعرفان الجميل ما ابدته طوال حياتها من اخلاص لافراد الاسرة ••

فقلت باعجاب :

ــ حقا لقد كان رجلا بعيد النظر صادق الفراسة ••

فقال جيتسكيل :

ـ انني اقر كل كلمة جاءت في رسالته •• ولكنني أعيب عليه عـدم ثقته بي بعد خدمة ثلاثة واربعين عاما ••

فقال ابي :

ـ هذا صحيح •• ولكن يبدو انه كان رجلا معقدا يطيب له حسم الامور بطريقة غير مألوفة ••

وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون فتنـاول ابي السماعة وأصغى ثم قال :

ـ هذه مكالمة لك يا تشارلس •• من صديقتك ••

فتناولت السماعة وهتفت :

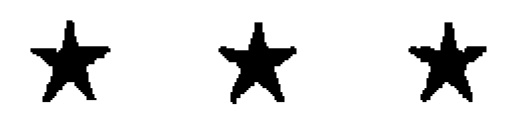
ـ صوفيـا ؟••

ـ اهذا انت يا تشارلس ؟•• انني احدثك الآن بشأن جوزيفين ••

كان صوتها متهدجا •• فصحت :

ـ ماذا بها ؟••

ـ اصيبت بضربة في رأسها ربما تقضي عليها ••



— ١٧ —

بعد بضع دقائق ، كنت والمفتش تافرنر في سيارة تنهب بنا الارض في الطريق الى ضاحية (سوينلي دين) ..

وتذكرت وانا استعرض احـداث الايام الاخيرة ما قالته جوزيفين وهي تغادر قاعة خزان الماء عن الجريمة الثانية المرتقبة .

لا شك ان الطفلـة المسكينة لم تتوقع ان تكون هي ضحيـة تلك الجريمة الثانية ..

★ ★ ★

وكانت صوفيا تنتظرنا ببـاب البيت .. فقالت لنا ان جوزيفين قد نقلت بسيارة الاسعاف الى المستشفى وان الدكتور (جراي) سيفحصها بالاشعة ويخطرهم بنتيجة الفحص ، فسألها تافرنر :

ــ ولكن كيف حدث ذلك ؟..

فاقتادتنا الى غرفة مهجورة خلف البيت وقالت :

ـ هذه الغرفة تستخـــدم كمخزن للادوات المهملـــة كالخراطيـــم والفؤوس وغيرها مما يستعمل في الحديقـــة •• وقد اعتـــادت جوزيفين التردد عليها بين وقت وآخر لتتأرجح على بابها الخشبي ••

★ ★ ★

كانت غرفةصغيرة مظلمة مليئة بالمقاعد الخشبية والخراطيمالمستهلكة وقطع الاثاث التالفة • فأشارت صوفيا الى تمثال صغير من الرخام ملقى على الارض بجوار الباب وقالت :

ـ لا بد ان بعضهم وضع هذا التمثال على الحافة العليا للباب فلما أرادت جوزيفين التأرجح على الباب كالعادة سقط التمثال على رأسها ••

فقال تافرنر :

ـ انها حيلة متناهية في البساطة ••

وحرك الباب بيده ثم نظر الى التمثال وسأل :

ـ هل مسه احد ؟••

فأجابت صوفيا :

ـ كلا •• لم اسمح لاحد بأن يمسه ••

ـ احسنت صنعا •• ومن الذي عثر على الفتاة ؟••

ـ انا •• لقد انتظرناها ساعـــة الغداء فلم تحضر •• فشرعنـــا في البحث عنها وتذكرت (نانني) انها رأتها تخرج الى الحديقة وتسير في هذا الاتجاه •• فقالت لي انها تراهن على انها ذهبت لتتأرجح على الباب •• وخيل الي انها على صواب فجئت الى هنا للبحث عنها ••

ـ هل اعتادت التأرجح على هذا الباب ؟••

ـ نعم •• واعتقد ان الجميع يعلمون ذلك ••

ـ الا يستطيع من في البيت ان يرى ما يحدث هنا ؟••

ـ كـــلا ••

ـ اذن فقـد كان من السهـل على اي انسان ان يتسلل الى هذه الغرفة ويضع هذا الفخ •• ولكن نجاح تدبيره لم يكن مؤكدا ••

قال ذلك وحرك الباب برفق واستطرد قائلا :

ـ كانت مسألة حظ •• وكان من الممكن جدا ان يسقط التمثـال فلا يصيبها •• بل ان احتمالات الفشل تفوق كثيرا احتمالات النجاح •• كل ما هنالك ان جوزيفين كانت سيئة الطالع فسقط التمثال على رأسها••

وانحنى •• ونظر الى عدة ثقوب في الارض وقال :

ـ يبدو ان الفاعل قام بعدة تجـارب قبل ان يتمكن من موازنـة التمثال فوق الحافة العليا للباب •• الم تسمعوا شيئا وانتم بالبيت ؟••

فأجابت صوفيا :

ـ كلا •• وانا شخصيا لم اشك في الامر الى ان رأيتها ممدة على الارض والدم يسيل من جرح عميق في رأسها ••

فأشار تافرنر الى شملة من الصوف صارخـة الالوان ملقـاة على الارض وسأل :

ـ اهذه شملتها ؟••

ـ نعـم ••

فتناول تافرنر الشملة وامسك بها التمثال وهو يقول :

ـ قد تكون عليه بصمات أصابع •• ولكنني اشك في ذلك •• ماذا تفعل يا تشارلس ؟••

كنت انظر الى مقعد خشبي رأيت على قاعدته بعض قطع من الطين•• فقال تافرنر :

ـ هذا عجيب !!•• يبدو ان بعضهم وقف فوق هذا المقعد وحذاؤه ملوث بالوحل •• ترى لماذا ؟••

ثم التفت الى صوفيا وسأل :

ـ متى عثر على جوزيفين في هذا المكان ؟..
ـ حوالي الساعة الواحدة وخمس دقائق ..
ـ وكم كانت الساعة حين رأتها (تاني) تخرج الى الحديقة ؟..
ـ قبل ذلك بنحو عشرين دقيقة ..
ـ اذن فالحادث وقع خلال فترة محدودة لا تتجاوز ٢٥ دقيقة ..

★ ★ ★

وعدنا الى البيت ، ورافقت صوفيا الى قاعة المكتبة ، وهناك كان فيليب في مقعده المألوف وهو شاحب الوجه شارد الذهن .. بينما جلست ماجدا على الارض واسندت رأسها الى ركبة زوجها وراحت تذرف الدموع في هدوء ..

وسألت صوفيا أباها عما اذا كان المستشفى قد اتصل تليفونيا ، فهز فيليب رأسه سلبا ، وقالت ماجدا :
ـ لماذا لم يدعوني اذهب مع ابنتي الصغيرة المسكينة ؟.. انا اعلم انها ستموت ..
فتوسل اليها فيليب ان تصمت ..
ورأيت من اللياقة ان انسحب ، فخرجت في هدوء وانطلقت للبحث عن (تاني) .. وجدتها في المطبخ تبكي ..
قالت :

ـ ان الارواح الشريرة تملأ هذا البيت يا مستر تشارلس لقد قتل السيد العجوز اولا .. وها هي الصغيرة المسكينة على شفا الموت ..
وخطر لي خاطر فسألتها :
ـ هل تعلمين اين كانت تخفي الدفتر الاسود الصغير الذي كانت تسجل فيه خواطرها وافكارها ؟..

ـ كلا يا سيدي •• ولكني اعلم انها كانت تحرص عليه وتحيطه بسرية تامة ••

ـ هل كان معها عندما عثرتم عليها بعد الحادث ؟••

ـ كلا يا سيدي ••

ترى هل اخذ بعضهم هذا الدفتر •• او انه لا يزال مخبأ في غرفتها ؟••

وخطر لي ان ابحث عنه، ولكني لم اكن اعرف موقع غرفةجوزيفين•• ووقفت في الدهليز حائرا •• واذا بي اسمع صوت تافرنر وهو يقول :

ـ تعال يا تشارلس ، انني في غرفة جوزيفين ••

فذهبت الى مصدر الصوت ، وجمدت في مكاني على عتبة الباب •• كانت الغرفة اشبه بمكان مر به اعصار ••

كل شيء فيها نزع من مكانه •• حشية الفراش مزقت اربا ، الادراج خلعت من الدواليب وبعثرت محتوياتها •• اللوحات ألقيت على الارض وحطمت اطاراتها •• المقاعد مقلوبة •• الكتب والاوراق مبعثرة ••

لم اصدق ما رأته عيناي وهتفت :

ـ يا الهي !!! ما معنى هذا ؟••

ـ ما رأيك ؟••

ـ رأيي ان بعضهم كان يبحث هنا عن شيء ••

ـ ذلك ما اعتقده ••

ـ ولكن لايمكن ان يدخل انسان ويفعل كل هذا دون ان يراه او يسمعه احد ••

ـ ليتني فقط اعلم عن اي شيء كان يبحث وهل وجد ما كان يبحث عنه ام لا ؟••

ونشطت هذه الكلمات ذاكرتي ، وتبلورت افكاري بغتة عندما سألني تافرنر متى رأيت جوزيفين لآخر مرة •• فغادرت المكان مسرعا ، وهرولت الى غرفة خزان الماء ، وكان سقف الغرفة منخفضا فاضطررت ان احني قامتي ••

انني رأيت جوزيفين لآخر مرة وهي تخرج من هذه الغرفة ، وعندما سألتها ماذا كانت تفعل اجابت بأنها كانت تقوم ببعض اعمال البوليس السري ••

فماذا كانت ترجو ان تجد في هذه الغرفة التي يخيم عليها نسيج العنكبوت ؟•• اكبر الظن انها لم تكن تبحث في الغرفة عن شيء •• وانما كانت تخفي بها شيئا ••

وبحثت في الغرفة •• ولم تستغرق عملية البحث اكثر من ثلاث دقائق ••

دسست يدي وراء خزان الماء •• ووجدت حزمة صغيرة ملفوفة في قطعة من الورق الاسمر ••

كانت حزمة رسائل •• فتناولت اولى هذه الرسائل وقرأت فيها ما يلي :

انت لا تعلم ايها العزيز لورانس ، كم كانت سعادتي امس وانا اسمع الاشعار التي تلوتها علينا ••

كنت تتجنب النظر الي•• ولكنني كنت اعلم انك توجه الكلام الي•• والي وحدي ••

قال لك ارستيد : (انت قارىء ممتاز) •• ولكنه لم يلاحظ الانفعالات التي تجيش في صدرك وصدري ••

انا واثقة ايها الحبيب ان كل شيء سينتهي قريبا على ما نروم •• واني لاشعر بالارتياح كلما فكرت في انه سيموت دون ان يعرف ما بيننا •• وسيموت سعيدا ••

لقد كان كريما معي •• ولذلك لا اريد له ان يتألم ••

انني اعتقد ان الانسان لن يجد متعة في الحياة بعد ان يتجاوز الثمانين •• ولذلك ارجو الا يطول انتظارنا وان يجمع الحب بيننا عما قريب ••

كم سأكون سعيدة حين ادعوك : (يا زوجي العزيز) !!•• لقد خلق كل منا للآخر ايها الحبيب •• وانا احبك •• احبك •• احبك ••

وكانت للرسالة بقية ولكني شعرت بالاشمئزاز والاستنكار فلم امض في قراءتها •

وعدت الى تافرنر وقدمت اليه حزمة الرسائل وانا اقول :

ـ لعل هذه هي ما كانوا يبحثون عنه ••

فقرأ تافرنر بضع فقرات من الرسالة الاولى ، ونظر الي وهو يبتسم وقال :

ـ اظن ان هذه الرسالةتحسم الامر بالنسبة الىبريندا ولورانس••

انني ادهش الآن كلما تذكرت كيف تقلص عطفي على بريندا حالما قرأت رسائلها للورانس •• فهل كان ذلك لانها كذبت علي ؟•• ام انها اثبتت انني انسان يسهل خداعه ؟•• لا اعلم •• فانني لا افهم كثيرا في علم النفس •• شيء واحد لا اغفره لبريندا •• هو انها في محاولتها التخلص من تبعات جريمتها الاولى ، قد اقدمت بنذالة على الفتك بطفلة صغيرة لا حول لها ولا قوة •

قال تافرنر :

ـ الرأي عندي ان لورانس هو الذي اقدم على هذه الفعلة •• وذلك يفسر امرا اثار حيرتي ••

ـ ما هو ؟••

ـ دعنا نستعرض الحقائق بطريقة منطقية •• كانت الرسائل في

حوزة جوزيفين وكانت الخطوة الصحيحة •• هي محاولــة استرداد هذه الرسائل فاذا نجحت المحاولة انتهى كل شيء •• اذ مهما تكلمت الفتــاة بعد ذلك فان احدا لن يصدقها لانها لا تملك ما يثبت كلامها •• وسوف يقال حينئذ انها اخترعت القصة كلها ••

ولكنهم لم يجدوا الرسائل •• فأصبح من الضروري التخلص من الفتاة لمنعها من الكلام ••

وكان معروفا ان الفتاة تحب التأرجح على باب الغرفة المهجورة •• واذن فالطريقة المثلــى للتخلص منها ، هي انتظارها في الغرفة المهجــورة وضربها بقطعة من الحجر او الحديد •• وبذلك ينتهي الامر ••

ولكن الجاني لم يفعل ذلك •• وانما لجأ الى طريقــة غير مؤكــدة النتائج فكلف نفسه مؤونة موازنة الحجر فوق الباب ليسقط على الفتــاة فيصيبها او لا يصيبها •• فلماذا ؟••

ــ والجــواب ؟••

ــ الجواب يتوقف على شخصية الجاني •• ونحن نعلم انلورانس براون يفزع من اعمال العنف والقسوة ، فمن المستحيل عليه ان يتوارى خلف الباب ليهشم رأس فتاة صغيرة •• ولكنه يستطيع موازنة الحجــر على الباب ، ليؤدي الحجر مهمته بينما هو بعيد عن مكان الحادث ••

ــفهمت •• على غرار عملية استبدال الانسولين بالايزيرين ••

ــ تماما ••

ــ هل تعتقد ان بريندا كانت على علم بهذا التدبير ؟••

ــ من المحتمل جدا ان يكونا قد اشتركا معا في التخطيط •• ومن المحتمل ايضا ان تكون هي وحدهــا التي فتكت بزوجهــا •• فالسم هو الوسيلة التقليدية للتخلص من الازواج العجــائز •• ولكني اراهن على انها لم تنصب ذلك الفــخ لجوزيفين •• فالنساء لا يحفلــن بالوسائــل الميكانيكية او الآلية التي من هذا النوع •

ـ مهما يكن من امر فان الرسائل فيها الكفاية لادانة العاشقين ••
ولا يبقى بعد ذلك الا ان تتماثل جوزيفين للشفاء •• لكي تعود الطمأنينة والسعادة الى هذا البيت •

ثم غمز بعينه واستطرد قائلا :
ـ اظن ان من المثير ان يكون الانسان خطيبا لفتاة تملك بضعة ملايين من الجنيهات ••

وكنت في غمرة الاحداث قد نسيت كل شيء عن الوصية فقلت :
ـ ان صوفيا لم تعلم بعد بمضمون الوصية فهل اخبرها ؟••
ـ اعتقد ان جيتسكيل سيجتمع بالاسرة غدا ليتلو عليها نص الوصية •
وفي مساء ذلك اليوم ، تلقت صوفيا من المستشفى نبأ سارا ••
ان اصابة جوزيفين ليست من الخطورة كما ظن الجميع ، وعما قريب تتماثل للشفاء •• ولكن زيارتها ستظل ممنوعة على الجميع •• حتى امها ••
قالت صوفيا وهي تنهي الي هذا النبأ :
ـ وخاصة امها •• ذلك ما اكدته في حديثي مع الدكتور جراي •
ويبدو انها رأت نظرة الاستنكار التي ارتسمت في عيني •• لانها قالت :

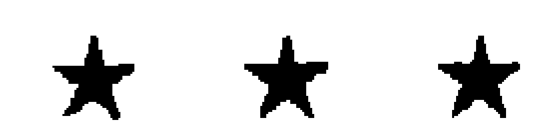
ـ لماذا الاستياء يا عزيزي ؟••
ـ يا الهي !!•• انها ام ••
ـ يسرني ان ترى في الامهات الرأي الذي كان شائعا فيما مضى•• ولكنك لا تعرف امي يا تشارلس •• انها لطيفة جدا •• ولكنها تذهب لزيارة جوزيفين الا لكي تلعب دورا دراميا امام فراشها •• وليست هذه هي الطريقة المثلى للتعجيل باندمال الجرح ••

ـ انك تفكرين في كل شيء ايتها العزيزة ؟..

ـ وماذا استطيع ان افعل غير ذلك ؟.. لابد من شخص يرعى هذا البيت واهله بعد رحيل جدي .

فلم اجب ، ولكني لم اتمالك من الاحساس بالاعجاب بحكمة العجوز وصدق فراسته ..

انه لم يخطيء حين وقع اختياره على صوفيا لتحمل المسؤولية من بعده ..



- ١٩ -

كنت مع صوفيا وبريندا في الحديقة ذات صباح حين وقفت بالباب احدى سيارات الشرطة وخرج منها المفتش تافرنر والضابط لام •

وكانت بريندا قد انضمت الينا قبل بضع دقائق وهي تقول :

ـ انني سأجن اذا لم اخرج في الهواء الطلق ، ولكنني كلما تجاوزت سور الحديقة حاصرني الصحفيون وسدوا علي الطريق •

فأجابتها صوفيا بأن الصحفيين سوف يتعبون من التربص بأفراد الاسرة وينصرفون •

فقالت بريندا فجأة وبلا مقدمات :

ـ حدثيني يا صوفيا •• هل انهيت عمل لورانس ؟•• لماذا ؟••

ـ لسبب بسيط ، هو اننا سنرسل جوزيفين الى سويسرا وسنلحق اوستاش باحدى مدارس لندن •

ـ ان لورانس حزين •• ويعتقد انك لا تثقين به •

وفي هذه اللحظة وقفت سيارة الشرطة بالباب وهبط منها تافرنر وزميله فهتفت بريندا في فزع :

ـ لماذا عادا ؟.. ماذا يريدان ؟..

ولاحظت انها ترتجف ..

لم اكن قد ذكرت شيئا لصوفيا عن الرسائل التي وجدتها خلف خزان الماء ولكنني كنت اعلم انها ارسلت الى النائب العام .

واقترب تافرنر منا ووقف امام بريندا وقال :

ـ انني احمل امرا بالقبض عليك يا سيدتي .. انت متهمة بأنك في يوم ١٩ سبتمبر الماضي قتلت زوجك ارستيد ليونيدس بمادة الايزيرين السامة ، ومن واجبي ان احذرك بأن كل ما ستقولينه سيسجل عليك وستحاسبين عليه عند محاكمتك .

فانهارت بريندا على الفور وتعلقت بساعدي وقالت وهي تبكي انها بريئة ، وانها ضحية مؤامرة وتوسلت الي الا ادع تافرنر يقبض عليها وصرخت :

ـ انا لم افعل شيئا .. لم افعل شيئا على الاطلاق ..

كان الموقف رهيبا فحاولت ان اهدىء روعها وقلت لها انني سأتفق مع محام للدفاع عنها ، وانها يجب ان تتمالك نفسها وتتسلح بالهدوء ورباطة الجأش .

وتأبط تافرنر ساعدها وقال :

ـ هلمي بنا يا سيدتي ..

فنظرت اليه وسألت :

ـ ولورانس ؟..

ـ مستر لورانس ؟.. معي امر باعتقاله ايضاً .

فكفت عن المقاومة ، وسارت مع تافرنر ودموعها تنساب على خديها في هدوء .

وفي نفس اللحظة ، رأيت لورانس براون يخرج من البيت برفقة

(لام) ، واستقل الجميع السيـارة التي انطلقت بهم مسرعة في الطريـق الى لندن •

★ ★ ★

تنفست الصعداء ونظرت الى صوفيا •
كانت ترتجف ووجهها شديد الشحوب •
قالـت :
ـ هذا مخيف !!•• يجب ان نجد لها افضل المحامين •• ولكن لماذا اعتقلوها الآن ؟•• ظننت انه لا توجد ادلة •
ـ انهم وجدوا بعض الرسائل •
ـ رسائل غرامية تبودلت بينهما ؟••
ـ نعـم ••
فقالت مرة اخرى :
ـ هذا مخيف !!••
ـ نعم •• كل هذا مخيف •• ولكن لا ضرورة للتعقيب عيله ••
الم تنته الامور على النحو الذي تمنينـاه ؟ لقد ظهرت الآن براءة آل ليونيدس وثبت ان احدا منهم لم يكن لديه دافع لارتكاب الجريمة • لن ندعها تغيب عن انظارنا بعد الآن •• رغم ان ذلك لم يعد ضروريا •
ـ هذا صحيح •• ولكنك لم يكن لديك علم بمضمون الوصية •
ـ بل كنت اعلم •
ـ احقـا !••
وشعرت بالدم يجمد في عروقي •
قالـت :
ـ كنت اعلم منذ وقت طويل ان جدي اوصى لي بكل ثروته •
ـ ولكن •• كيف علمت ؟••

ـ هو نفسه صارحني بذلك قبل اسبوعين من وفاته •• قال لي ذات يوم وبغير مقدمات : « صوفيا •• انت التي سترثين كل ثروتي •• وانت التي ستعنين بأمر الاسرة بعد رحيلي •• » •

ـ ولكنك لم تنبئيني بذلك •

ـ ذلك لانني سمعتهم يتحدثون عن وصية اخرى قبل ان جـدي وقّع عليها بامضائه على مرأى منهـم • فظننت انه عدل عن فكرتـه •• وخشيت ان اثير الموضوع •

ـ لمـاذا ؟••

ـ خفت ان اتهم بارتكاب الجريمة •

- ٢٠ -

وقفت السيارة بالباب ، فهتفت في سرور :

ـ ها هي جوزيفين قد عادت الينا .

كانت الطفلة تبدو طبيعية تماما .. فيما عدا انها كانت معصوبة الرأس .

قالت على الفور :

ـ اريد ان ارى الاسماك الحمراء ..

وهرولت الى حوض الاسماك فصاحت بها امها :

ـ اليس من الافضل ان تستريحي في فراشك قليلا ايتها العزيزة وان تتناولي بعد ذلك صحفة من الحساء ترد اليك صحتك ؟..

فأجابت الطفلة :

ـ لا تقلقي يا اماه فانني بخير .. ثم انني لا احسب الحساء ..

وكنت اعلم انه كان من الممكن ان تغادر جوزيفين المستشفى قبل بضعة ايام . ولكن المفتش تافرنر اوصى ببقائها هذه الايام حرصاً على

سلامتها •• وحتى لا تعود الى البيت قبل اعتقال المتهمين •• وزوال كل خطر محتمل ••

قلت لماجدا :

ــ ان الهواء الطلق لن يضرها •• سألحق بها واسهر عليها •

ولحقت بجوزيفين عند حوض الاسماك وقلت احدثها :

ــ لقد حدثت اشياء كثيرة في غيابك •

فنظــرت الي من ركن عينهــا ولم تجب •• وراحت تتابع حركــة الاسماك في الماء •

قلت لها :

ــ الا يهمك ان تعرفي ما حدث هنا اثناء غيابك يا جوزيفين ؟••

ــ اظن انني اعرف •

ــ هل تعلمين انهم وجدوا وصية اخرى لجدك ، اوصى فيها بكل ثروته لصوفيا ؟••

فهزت كتفها وقالت :

ــ أنبأتني امي بأمر هذه الوصية ولكني كنت اعلم ••

ــ هل حدثوك عنها في المستشفى ؟••

ــ كلا •• كنت اعلم ان جدي ترك كل ثروته لصوفيا •• فقد قال لها ذلك بنفسه ••

فأدركت انها سمعت بطريقتها المألوفة ما دار من حديث بين صوفيــا وجدها بشأن الوصية • وانتقلت الى موضوع آخر •• قلت :

ــ ليتك عجلت بالحضور ، اذن لرأيت كيف ألقى المفتش تافرنــر القبض على بريندا ولورانس •

وكنت اتوقع ان يثيرها هذا النبأ ولكنها قالت ببساطة :

ــ لقد رأيت ••

ـ مستحيل !!•• فقد حدث ذلك قبل حضورك •

ـ اننا مررنا بسيارتهم ونحن في الطريق الى هنا •• وكان بالسيارة عدا بريندا ولورانس ، كل من المفتش تافرنر وضابط الشرطة ذي الحذاء اللامع ، فأدركت انهما اعتقلا ••

فقلت معتذرا :

ـ انني قدمت الرسائل لتافرنر بعد ان عثرت عليها مخبأة وراء خزان الماء •• كنت اوثر ان تقدميها انت اليه ، ولكنك كنت في المستشفى •

ـ الواقع ان غرفة الخزان لم تكن المكان الملائم لاخفاء الرسائل•• وقد حدث ذات يوم انني رأيت لورانس خارجا من هذه الغرفة فأدركت انه اخفى بها شيئا ، وتحقق ظني حين دخلت الغرفة ووجدت الرسائل •

ـ ولكني ظننت انك انت التي •••

ولم اتم عبارتي ، فقد سمعت اديث هافيلاند تدعو جوزيفين •• وتنهدت هذه وقالت :

ـ يجب ان اذهب •• فلا احد يستطيع الافلات من الخالة اديث •

واسرعت تعدو في الحديقة الى حيث كانت اديث ، فتبادلت معها بضع كلمات •• ثم توارت داخل البيت •

وذهبت بدوري الى اديث ••

كانت تبدو عليها دلائل التعب والاعياء وخيل الي ان تجعدات وجهها زادت عمقا ووضوحا •

وعندما اقتربت منها ، حاولت ان تبتسم وقالت :

ـ هذه الصغيرة لا يبدو عليها انها عانت كثيرا مما اصابها • ولكننا

ـ فيما عداي •

ثم تنهدت وقالت :

ـ كم انا سعيدة لان كل شيء قد انتهـى !!•• انني رأيتهمـا من نافذتي وشعرت بالرثاء لهما •• وكان لورانس اشبه بالفأر في المصيدة •• على انني ارجو ان يتولى الدفاع عن بريندا محام يأخذ بيدها ويقف الى جانبها في محنتها •

كان موقفها لا يقل غرابـة عن موقف صوفيـا •• فكلتاهما تمقت بريندا وكلتاهما ترجو ان يبذل المستطاع لكفالة الدفاع عنها •

واستطردت اديث دي هافيلاند تقول :

ـ نعم •• يجب ان تهيأ لها كل الفرص وكل وسائل الدفاع الممكنة •• حتى لا تذهب ضحية ظلم او خطأ من اخطاء القضاء ••

فسألتهـا :

ـ ولورانس ؟••

فأتت بحركة تدل على نفاذ الصبر وقالت :

ـ لورانس رجل يستطيع ان يتولى امر نفسه •• اما بريندا •• فان ارستيد لن يغفر لنا اذا •••

ولم تتم عبارتها واردفت :

ـ لقد حان وقت الغداء فهلم بنا الى البيت •

ولكنني قلت لها انني انوي العودة الى لندن • فسألت :

ـ هل ستعود بالسيارة ؟•

ـ نعـم •

ـ هل تأخذني معك ؟•• قيل لي انه سمح لنا بمغادرة البيت •

ـ يسعدني ان اصحبك معي • ولكني علمت ان ماجدا وصوفيـا ستذهبان الى لندن بعد ظهر اليوم • ولا شك انك تفضلين سيارة فارهة كبيرة على سيارتي الصغيرة ذات المقعدين •

ـ يهمني الا اذهب معهما •• هلم بنا ولا تخبر احدا ••

فدهشت ، ولكني نزلت على ارادتها ، ولم تتحدث كثيرا في الطريق، سألتها الى أين تريد الذهاب فأجابت :

ـ الى شارع هارلي (حيث يوجد كبار الاطباء) •

واقلقني جوابها ولكني لزمت الصمت •••

ـ بل من الافضل ان تتركني امام مطعم (دبنهار) ••• سأتناول هناك طعام الغداء ثم اذهب بعد ذلك الى شارع هارلي •

ـ آمل ان •••

فلم تدعني اتم عبارتي وقالت :

ـ لهذا لم أشأ القدوم مع ماجدا •• انها تحيل كل شيء الى مأساة•

ـ يؤسفني ان اعلم ان •• .

ـ لا تأسف على شيء •• انني في افضل صحة •• اريد فقط اجراء بعض الفحوص •

- ٢١ -

لم اكن رأيت ابي خلال بضعة الايام الاخيرة . فوجدته مشغـولا بقضية اخرى غير قضية ليونيدس . ولم اجد بدا من الذهاب الى تافرنز في مكتبه . وكان اول ما فعلتـه انني هنأته على توفيقه في قضية البيت ذات القباب الثلاث ، فتقبل تهنئتي في سرور ولكن لم يبد عليه انه راض كل الرضى .

قـال :

ـ مهما يكن من امر فقد اكتملت عناصر الاتهام وانتهى الامر .

ـ هل تظن ان المحكمة ستدينهما ؟..

ـ من المتعذر التنبؤ بشيء في مثل هذه القضية .. انها تختلف عن سائر قضايا جرائم القتل في ان الادلة التي لدينـا ليست ادلة مباشرة .. وسوف يتوقف الكثير على الانطبـاع الذي يتركه المتهمان في نفـوس المحلفين .

ـ اليست الرسائل دليلا كافيا ؟..

ـ انها تبدو كذلك لاول وهلة • •ففيها عبارات تشير الى ما سوف ينعم به العاشقان من السعادة بعد موت العجوز • ولكن بوسع الدفاع ان يزعم انها عبارات بريئة وان الزوج كان طاعنا في السن فمن الطبيعي ان تتوقع زوجته وفاته في اية لحظة •

يضاف الى ذلك انه يحتمل ان يزعم لورانس انه الفاعل الوحيد وان بريندا كانت تجهل كل شيء •• كما يحتمل ان يحدث العكس •• او ان يعترفا بأن الجريمة ارتكبت باتفاقهما معا ••

ـ ما رأيك انت ؟••

ـ ليس لي رأي على الاطلاق •• لقد جمعت الحقائق وكتبت تقريرا الى النائب العام ، وقرر النائب العام ان هناك ما يبرر تقديمها للمحاكمة •• لقد اديت واجبي •• ولا شأن لي بما يحدث بعد ذلك •

وشعرت من حديثه انه غير مقتنع تماما بالاتهام الى بريندا وصديقها •• وكدت ان اصارحه بذلك لولا ان دق جرس التليفون في هذه اللحظة فتناول تافرنر السماعة •• واصغى • •ثم قال لي :

ـ انك مطلوب لحديث تليفوني في مكتب ابيك •

فهرولت الى مكتب ابي الذي بادرني بقوله :

ـ انها الانسة صوفيا ليونيدس •• يبدو ان الامر عاجل ••

فتناولت السماعة ، وانا اتوقع سماع نبأ اعتداء جديد على جوزيفين:

ـ ألو •• صوفيا ؟••

ـ اهذا انت يا تشارلس ؟••

كانت في صوتها نبرة يأس وقلق ••

قالت :

ـ ان المشكلة لا تزال قائمة •• والقاتل ما زال في البيت ••

ـ ماذا تعنين ؟•• هل حدث شيء لجوزيفين ؟••

ـ كلا .. ليست جوزيفين .. انها (ناني) .

ـ ناني ؟..

ـ نعم .. كانت هناك بقية من (الكاكاو) في قدح جوزيفين فلم تشأ ناني اهدارها وشربتها .

مسكينة ناني .. هل حالتها سيئة ؟..

فقالت صوفيا بصوت متهدج :

ـ انها ماتت ..

★ ★ ★

- ٢٢ -

احسست وانا في السيـــارة التي اقلتني مع المفتش تافرنر الى البيت المشؤم بنفس الكابوس الذي رزح على صدري في رحلة مماثلة قمنا بها من قبل • ووجدت انني اردد بين الفينة والفينة بغير وعي :

ـ اذن فالقاتل ليس لورانس او بريندا •

والواقع انني لم اقتنع بصحة اتهامهما ، انما تظاهرت بالاقتناع تجنبا للخوض في احتمالات اخرى •

كنت اعلم ان بريندا بطبيعة تكوينها ومزاجها الخامـــل ولعها بالترف والاسترخاء والحيـــاة السهلة لا يمكن ان تتورط في مغامرة غراميـــة من العنف بحيث تدفعها الى ارتكاب جريمة قتل •• وان لورانس من الطراز الذي يؤثـــر الحياة في الاحـــلام والخيـــالات على معالجة الامور بالعنف والجريمة •• كل ما هناك انهما وقعا في فخ فجن جنونهما ذعرا ولم يعرفا كيف يخرجان •• ومن المحقق ان بريندا تخلصت من الرسائل التي تلقتها من لورانس لان احدا لم يعثر بها •• اما لورانس فكان من الغباء بحيث

احتفظ برسائلها اليــه •• كذلك لم يكن مما يتفــق مع تكوين لورانس وعقليته ومزاجه الشعري ان يدبر ذلك الفخ للقضاء على جوزيفين •• ان الذي دبر الفخ لا يزال حرا طليقا ••

★ ★ ★

استقبلنا في البيت شرطي لا اعرفــه ، انتحى بتافرنر ناحيــة وراح يتحدث اليه • اما انا فقد لفت نظري وجود حقائب تدل على ان هناك من يعتزم الرحيل ، وعندما هممت بفحصها ، اقبلت علي كليمنسي وهي تقول:

ــ انت جئت في الوقت المناسب يا تشارلس لكي نودعك •

ــ هل اعتزمت على الرحيل ؟••

ــ نعم •• سأرحل مع روجر وسنقضي هذه الليلة في احد فنــادق لندن وغدا نستقل احدى الطائرات •

كانت تبتسم •• ولكنني رأيت في عينيها نظرة قلق •

قلت لها :

ــ مستحيل ان ترحلا اليوم •

ــ لمــاذا ؟••

ــ توجد بالبيت امرأة قتيل •

ــ لا شأن لنا بموت ناني •

ــ ربما •• ومع ذلك ••

ــ لماذا تقول (ربما) •• لقد كنت مع روجر في شقتنا لاعداد حقائبنا ولم نغادرها طيلــة الوقت الذي كان فيه قــدح (الكاكاو) على مائــدة الطعــام •

ــ هل تستطيعين اثبات ذلك ؟••

ــ الا تكفي اقوالي واقوال روجر ؟••

ــ كلا •• لا تنسي انكما زوجان •

ــ هذا سخف يا تشارلس •• انني وروجر في طريقنـــا الى حيـــاة جديدة فأية مصلحة لنا في قتل امرأة طيبة مسكينة مثل ناني •

ــ ربما لم تكن هي المقصودة •

ــ واية مصلحة لنا في قتل طفلة ؟••

ــ هذا يتوقف على الطفلة •

ــ ماذا تعني ؟••

ــ انَ جوزيفين ليست طفلة عاديـــة •• فهي تعرف اشياء كثيرة عن كل انسان في هذا البيت ، وربما ••

ولم اتم عبارتي ، فقد رأيت جوزيفين مقبلة نحونا وهي تقضم تفاحة وعيناها تتألقان فوق وجنتيها الموردتين ••.

قالت تحدثنا :

ــ لقد ماتت (ناني) بالسم •• تماما مثل جدي انه امر مثير اليس كذلك ؟••

فقلت لها بجفاء :

ــ الست آسفة على (ناني) ؟•• اما كنت تحبينها ؟••

ــ كلا •• فكثيرا ما كانت تعنفني ••

ــ الا يوجد من تحبينه يا جوزيفين ؟••

فأجابت وهي تنظر الى كليمنسي من ركن عينها :

ــ انا احب اديث •• وكان من الممكن ان احب اوستاش لو انه اهتم معي بالكشف عن المجرم الذي فعل كل هذا ••

ــ من الخير لك ان تكفي عن البحث يا جوزيفين •• فذلك خطر ••

ــ لم اعد بحاجة الى البحث •• فقد عرفت كل شيء •

حينئذ سمعت آهة عميقة ، فرفعت رأسي ، ورأيت اديث تهبط السلم وعيناها لا تتحولان عنها •

قلت وانا امسك بساعد جوزيفين :

ــ تعالي يا جوزيفين •• اريد ان اتحدث اليك ••

واقتدتها الى غرفة صغيرة غير مطروقة ، واغلقت الباب وطلبت اليها ان تجلس ثم جلست امامها وقلت لها :

ــ في استطاعتنا الآن ان نتفاهم يا جوزيفين ••

فحدثيني •• ماذا تعرفين ؟••

ــ اعرف اشياء كثيرة ••

ــ هل تعرفين من وضع السم في قدح الكاكاو ؟••

فأومأت برأسها علامة الايجاب ••

ــ وتعرفين من حاول قتلك في غرفة المهملات ؟••

فهزت رأسها مرة اخرى ••

ــ اذن يجب ان تصارحيني بكل ما تعرفين •• وفورا •

ــ كــلا ••

ــ ان من واجبــك ان تضعــي كل معلوماتك بين ايــدي رجــال البوليس ••

ــ رجال البوليس مغفلون ، ولن اقول لهم شيئا ، لقد توهموا ان بريندا ولورانس هما القاتلان •• ولكني لم اكن مغفلة مثلهم •• كنت اعلم ان بريندا ولورانس بريئان ••

ــ جوزيفين •• انني اعترف لك بالذكاء •• ولكن ما قيمــة هذا الذكاء اذا لم تستمتعي بلذة انتصاراتــك ؟•• الا تعلمين ايتها الحمقــاء الصغيرة ، ان حياتك ستظل دائما في خطر طالما تحتفظين لنفسك بالاسرار التي تعرفينها ؟••

ــ اعلم ذلك جيدا ••

ــ اذن ستقولين لي ما تعرفين •• ولو اضطررت في سبيل ذلك الى استخدام العنف ••

ــ في استطاعتي دائما ان اكذب ••

ــ اعلــم ذلك •• ولكن ماذا تفيدين من الكــذب ؟•• والى متى تريدين الاحتفاظ بمعلوماتك ؟••

ــ انت لا تفهم •• فانه من المحتمــل جدا الا اتكلم ابــدا • ربما لانني احب المجرم او لانني اعطف عليه •• هل فهمت ؟••

وصمتت لحظة •• كأنما لتمنحني فرصة لاستيعــاب وجهة نظرها ، ثم استطردت قائلة :

ــ على انني متى قررت الكلام فسوف افعل ذلك طبقا للاصول ، فأدعو الى اجتماع حافل في قاعة فسيحــة •• واحكي كل شيء ، ثم اشير الى القاتل واصيح به : انت القاتل ••

ومدت اصبع الاتهام في اللحظة التي دخلت فيها اديث دي هافيلاند••

وصعدت اديث الطفلة بعينيها ثم قالت لها انها ستخرج معهــا الى نزهة بالسيارة •• وفهمت من نظرتها الى انها تفعــل ذلك كوسيلة لتأمين سلامة الطفلة خلال الساعتين القادمتين ••

وابتسمت جوزيفين ورحبت بالنزهة المرتقبة فقالت اديث :

ــ صففي شعرك واحضري قبعتك ومعطفك فان الجو يميــل الى البرودة •• هل لك ان ترافقها الى غرفتها يا تشارلس ريثما اكتب رسالتين صغيرتين ؟؟••

فاصطحبت جوزيفين الى غرفتها وكان في نيتي ان افعل ذلك حتى ولو لم تطلبه اديث •• فقد كنت اشعر بأن الطفلــة تواجه خطرا لا شك فيــه ••

وساعــدت جوزيفين في تصفيف شعرهــا ، وكنت اضع اللمسات الاخيرة في زينتها حين دخلت صوفيا وادهشها ما رأت فهتفت :

ـ انت هنا يا تشارلس ؟•• لم اكن اعلم انك اصبحت (وصيفة)••
وراعني شحوبها •• والهالة السوداء التي تحت عينيها ••
وذهبنا الى اديث وكانت قد فرغت لتوها من رسالتها الثانية فنهضت وهي تقول :
ـ هيا بنا يا جوزيفين •• لقـد امرت (ايفانز) باعداد السيـارة الفورد السوداء ••
واجتزنا البهو ، وكانت الحقائب لا تزال في مكانها ، فوقفت اديث بالباب ، ونظرت الى السماء وقالت :
ـ ان الجو صحو •• والنسيم بارد ولكنه منعش ••
ثم تحولت الى صوفيا وقبلتها وقالت :
ـ الى اللقاء يا عزيزتي •• لا تجهـدي نفسك فهناك اشياء لا مفر منها ويجب مواجهتها ••
وكانت السيارة تنتظر بالبـاب ، فاحتلت اديث مكانها امام عجلـة القيـادة •• وجلست جوزيفين بجوارهـا ولوحت لنـا ديث وجوزيفين بأيديهما مودعتين •• وتحركت السيارة •
قلت احدث صوفيا :
ـ لقد احسنت اديث بابعاد جوزيفين عن البيت •• ولكني ما زلت مقتنعا بضرورة ارغام هذه الطفلة على الافضاء بكل ما تفعله ـ من المحتمل انها لا تعرف شيئا على الاطـلاق • انها مغرورة ، وتحب ان تضفي على نفسها شيئا من الاهمية •
ـ هل عرفتم نوع المادة السامة التي وضعت في قدح الكاكاو ؟•
ـ المعتقد انها مادة (الديجالتين) ، التي تتناولهـا اديث كعـلاج لقلبها •• كانت بغرفتها زجاجة مليئة بالاقراص وقد وجدت فارغة ••
ـ كان يجب عليها ان تضعها في مكان مغلق ••
ـ ذلك ما فعلته •• ولكن لم يكن من العسير العثور على المفتاح••

- ٢٣ -

غابت الشمس وراء الافق وهبت نسمة باردة ، فارتعدت صوفيا وقالت :

ـ مضت اربع ساعات ولم تعد اديث وجوزيفين •• هلم بنا ندخل البيت ••

وكنا وقتئذ في الحديقة ، فتأبطت ساعدها وعدت معها الى البيت ، حيث تناولنا الشاي وجلسنا ننتظر ••

ومرت ساعة اخرى •• وبدأ القلق يفري اعصابنا •• وكان تافرنر لا يزال بالبيت، فحدثته عما يساورنا من قلق على اديث وجوزيفين•• فأجرى بعض الاتصالات التليفونية واصدر بعض التعليمات •• وقال لي انه سيخطرني حالما يتلقى نبأ عنهما ••

وعدت الى قاعة الاستقبال ، ووجدت صوفيا في حالة يرثى لها من القلق ••

قالت حالما ابصرت بي :

ـ لا بد انه قد حـدث لهما حادث يا تشارلس •• انا واثقـة من ذلك ••

فضحك اوستاش وقال :

ـ لماذا القلق ؟؟•• لا شك انهما ذهبتا الى السينما ••

وخرج وهو لا يزال يضحك ••

★ ★ ★

وحول الساعة السادسة ، جاءنـا تافرنر ووجهه ينم عن النبأ الذي يحمله •••

ونظرت اليه صوفيا •• وحبست انفاسها ••

قـال :

ـ يؤسفني ان احمـل اليكم انباء سيئـة •• لقـد اذعت نـداء بالراديو •• فأبلغنا احد شرطة المرور انه رأى السيارة تنحرف عن الطريق العام بالقرب من (فلاكسبور) وتسير نحو الغابة ••

ـ في الطريق الى المحاجر ؟••

ـ نعـم ••

وصمت قليلا ثم قال :

ـ قد وجدت السيارة مقلوبة في احد المحاجر •• وبداخلها جثتان•• وقد يخفف من وقع الكارثة ان تعلموا انهما توفيتا فور انقلاب السيارة••

وعندئذ سمعنا صرخة مدوية :

ـ جوزيفين !!••

كانت ماجدا بالباب وقد سمعت النبأ ••

صرخت مرة اخرى :

ـ جوزيفين •• ابنتي العزيزة !!••

فأسرعت صوفيا الى امها واحتضنتها •• وضمتها الى صدرها •• وتذكرت في هذه اللحظة امرا ••

تذكرت ان اديث دي هافيلاند كتبت رسالتين •• وان الرسالتين كانتا في يدها عندما اجتازت البهو •• ولكنني لم ارهما عندما ركبت السيارة••

اسرعت الى البهو •• ولم تمض لحظات حتى عثرت بالرسالتين خلف آنية للزهور فوق المدفأة ••

كانت احدى الرسالتين تحمل اسم المفتش تافرنر •• وكان تافرنر قد تبعني فأعطيته الرسالة ففضها وقرأ بصوت مسموع :

« اعتقد ان هذه الرسالة سوف تقرأ بعد موتي ••

« لست اريد الخوض في التفصيلات •• ولكنني اعلن بايجاز مسؤليتي عن موت ارستيد ليونيدس ، وجانيت رو المشهورة بناني •• واقرر ان بريندا ليونيدس ولورانس براون بريئان مما نسب اليهما •• وسوف يؤكد الدكتور مايكل شافاس الطبيب بشارع هارلي انني مصابة بسرطان الحلق وان موتي محقق بعد بضعة شهور ولذلك قررت الا ارحل بالطريقة التي اخترتها دون ان اوفر على شخصين بريئين محنة محاكمتهما لجريمة لم يرتكباها •• » •

اديث دي هافيلاند

★ ★ ★

سمعت صوفيا نص الرسالة كما سمعته وهتفت وهي لا تكاد تصدق اذنيها :

ـ الخالة اديث ••

ثم نطقت على الفور بالسؤال الذي كان يتحير على شفتي اذ قالت :

ـ وجوزيفين •• ما ذنبها ؟•• لماذا أصطحبتها ؟••

فقلـت :

ـ نعم •• لماذا قتلتها ؟•• لماذا ؟••

ولكنني كنت اعرف الجواب ••

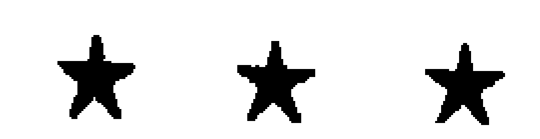
كانت الرسالة الثانية لا تزال في يدي •• وكانت اضخم من الاولى••

وقد عرفت محتوياتها قبل ان افضها ••

عرفت انها تحتوي على الدفتر الصغير الاسود •• دفتر جوزيفين••

واطلت صوفيا من فوق كتفي لتقرأ معي السطر الاول في الدفتر :

« اليوم قتلت جدي » ••



- ٢٤ -

لقد تساءلت فيما بعد كيف لم ادرك هذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، حقيقة ان جوزيفين هي الوحيدة التي لا يمكن ان يتخطاها الاتهام ..

كان غرورها ، والاهمية التي تضفيها على نفسها ، وحرصهـا على ابراز ذكائها .. واللذة التي تشعر بها عند المقارنـة بين مقدرتهـا وعجز البوليس .. كل هذه كانت اصابع اتهام تشير اليها ..

ولانها طفلة ، لم يخطر ببالي قط انها تستطيع ارتكاب جريمة قتل ، ونسيت ان ارستيد ليونيدس قد ارشدها بنفسه الى الطريقة .. وانه كان بوسعها ان تعمـل بارشاده ، مع احتيـاط بسيط هو الا تترك بصمـات اصابعهـا .. وذلك امر لا بد انها عرفتـه مـن ادمانها قـراءة القصص البوليسية ..

وذلك الفخ الذي نصب لها في غرفة المهملات .. كان يجب ان ادرك انها التي نصبته لنفسها .. فانها رغم ذكائها قد تركت آثارهـا في صورة

قطع من الوحل الجاف على المقعد الخشبي •• وقد كانت هي الوحيــدة بين اهل البيت التي لا تستطيع بلوغ الحافة العليا للباب الا اذا وقفت على الكرسي ••

يضاف الى ذلك ان الفخ كان على جانب كبير من السذاجة وضحالة التفكير ، اذ كان من الممكن ان يهشم التمثال الرخامي رأسها ويقتلها •• ولكن مما لا شك فيه انها كانت تنظر الى نفسها كبطلة ، وبطلات القصص فيما تعلم لا يمتن ••

وقد استطاعت ببراعة ان تلفت نظــري الى الخــزان ؛ ونجحت في تشتيت تفكيرنا وابعاد الشبهات عن نفسها بتلك الفوضى التي احدثتهــا في غرفتها ••

وعندما عادت من المستشفى وعلمت باعتقــال برينــدا ولورانس ، احست بخيبة الامل ، وشعرت بأن المغــامرة بلغت ذروتها وبأن الاضواء ستنحسر عنها ، فسرقت ذلك العقار من غرفة اديث ووضعته في الكميــة التي لم تشربهــا من (الكاكاو) وتركت القــدح في مكان واضح علــى المائــدة ••

فهل كانت تعلم ان (ناني) ستشرب بقية الكاكاو ؟••

ربمــا ••

لقد قالت لي بنفسهــا انها تمقت (ناني) لانهــا كثيرا ما انتهرتهــا وعنّفتهــا ••

ام ترى ان (ناني) ، بما لها من خبرة في تربية الاطفال ، قد فطنت الى الحقيقــة ، وادركت ان جوزيفين وراء الجريمــة فسارعت هذه الى الفتك بها ؟••

ذلك ممكن ايضا ••

ــ لقد كانت جوزيفين باجماع الآراء مخلوقة غير عادية ، فهي ذكية

العقل ولكنها ملتوية التفكير •• ولا بد ان يكون ارستيد ليونيدس قد ادرك هذه الحقيقة منذ وقت طويل فاشفق على الطفلة نفسها من تبعات انحرافها العقلي ، وقرر تثقيفها في البيت وعدم ارسالها الى المدرسة ••

وماجدا •• هل كانت تعرف الحقيقة ؟••

ان اسراعها في ارسال ابنتها الى سويسرا يدعو الى هذا التساؤل ••

ولكنني لا اظن انها كانت تعرف •• ولعل غريزة الامومة وحدها هي التي دفعتها الى التفكير في اقصاء ابنتها خوفا من المجهول ••

واديث دي هافيلاند ؟••

وتناولت رسالة اديث التي ارفقتها بالدفتر الصغير الاسود وقرأت فيها ما يلي :

« عزيزي تشارلس ••

هذه الرسالة لك وحدك ، ولصوفيا اذا استصوبت انت ذلك ، فلقد رأيت من الضروري ان اطلع انسانا ما على الحقيقة ••

انني وجدت الدفتر المرفق في حظيرة مهجورة من حظائر الكلاب خلف البيت •• وما قرأته في الدفتر قد اكد الظنون التي خامرتني •• فهل انا على صواب فيما قررت الاقدام عليه ؟•• لا اعلم •• ولكن حياتي قد انتهت تقريبا •• ولست اريد للطفلة ان تكابد العذاب الذي ينتظرها حتما عندما تسأل عما قدمت يداها ••

ان الطبيعة كثيرا ما تدفع الى الحياة صغارا يختلفون عن غيرهم ••

فاذا كنت قد أخطأت •• فانني ارجو الله ان يغفر لي •• لان ما سأفعله •• انما افعله بدافع الحب ••

بارك الله فيكما •• » •

اديث دي هافيلاند

قرأت هذه الرسالـــة ، ولم اتردد الا قليـــلا قبل ان ادفـــع بها الى صوفيـــا ••

ولما فرغت صوفيا من قراءتها ، شرعنا في تلاوة سجلته الطفلـــة في دفترها من اعترافات تثير الشفقة بسذاجتها واخلاصها :

ـ « اليوم قتلت جدي ••

انه لا يريدني أن اتعلم رقصة الباليه •• فقررت ان اقتله لكي انتقل مع امي الى لندن •• واصبح راقصة باليه عظيمة ؟••

وكانت الفقرة التالية لا تقل غرابة عن سابقتها :

« لا اريد السفر الى سويسرا •• فاذا اصرت امي فسأقتلها •• ليس لدي (سم) ولكني سأجد وسيلة ما .••

••• ان اوستاش يغيظني •• فهو يقول انني فتاة ، وان الفتيات لا يصلحن لاعمال البوليس •• ولكنه لا بد ان يعدل عن رأيه اذا علم انـــي التي قتلت جدي ••

••• « انا احب تشارلس ••• ولكنه غبي •

••• « لست اعلم بعد ، من اتهم بارتكاب الجريمة ؟•• ربما اتهـــم بريندا ولورانس •• انني امقت بريندا لانها تقول انني مخلوقة شاذة •• ولكني احب لورانس •• انه روى لي قصة شارلوت كورداي التي قتلت احد زعماء الثورة الفرنسية وهو يستحم •• » •

وجاء في الصفحة الاخيرة :

« انني اكره (ناني) فهي تزعم انني طفلة مغرورة تريد ان تجعـــل لنفسها اهميـــة •• وهي التي تحض امـــي على ارسالي الى سويسرا •• سأقتلها •• واظن ان دواء الخالـــة اديث يكفي لذلك •• ومتـــي حدثت جريمة ثانية •• فان رجال البوليس يعودون الى البيت ، ويصبح الموقف مثيرا •• » •

... ماتت (ناني) ... ولا اعلم اين سأخفي زجاجة الدواء قد اخفيها في غرفة العمة كليمنسي .. او في غرفة اوستاش ..

« وحينما اشعر بدنو اجلي .. بعد ان اكون قد بلغت من السن عتيا ، سأرسل هذا الدفتر الى مدير البوليس لكي يعلم انني كنت اعجوبة العصر في فن الجريمة .. » .

وطويت الدفتر فهتفت صوفيا وهي تبكي :

ـ هذا مخيف يا تشارلس .. كانت المسكينة وحشا في صورة انسان .. ولكني لا اشعر نحوها بغير الشفقة والرثاء ..

وكان ذلك هو شعوري ايضا ..

وسألتني صوفيا :

ـ ما هو المصير الذي كان ينتظرها لو انها عاشت ؟..

ـ كانوا سيضعونها في معهد للشواذ ومتى كبرت القوا بها في السجن ..

ـ اذن فقد احسنت اديث صنعا ..

ـ نعم .. انها اقدمت على انبل تضحية يمكن ان تقدم عليها امرأة من اجل اسرتها ...

تمت